مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

رسالة في تفسير قوله تعالى:

{هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ}

للمولى محمد بن عبد الأوّل التبريزي (ت بعد ٩٤٠هـ) (دراسة وتحقيق)(*)

د/ نورة بنت عبد العزيز بن محمد العلي
أستاذ القرآن وعلومه بقسم الدراسات الإسلامية
كلية التربية بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز - السعودية

*) تاريخ تسليم البحث 2/8/2024 تاريخ قبوله للنشر البحث 31/8/2024
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

رسالة في تفسير قوله تعالى:

{هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ}

للمولى محمد بن عبد الأوّل التبريزي (ت بعد ٩٤٠هـ)
(دراسة وتحقيق)

د/ نورة بنت عبد العزيز بن محمد العلي
أستاذ القرآن وعلومه بقسم الدراسات الإسلامية
كلية التربية بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز - السعودية

الملخص

البحث يتضمن تحقيق مخطوط: رسالة في تفسير قوله تعالى: (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء) "للمولى محمد بن عبد الأوّل التبريزي (ت بعد 940هـ) (دراسة وتحقيق)".

ويهدف البحث إلى نسخ الرسالة المختصرة في تفسير الآية، وضبطها، وتقديم النص بشكل صحيح كما أراد مؤلفها. وتوثيق وتوضيح النص، نسبة ومادة.

ويمكن تلخيص أهم النتائج التي وصلت إليها فيما يلي:

عدم توسع المؤرخين في ترجمة المؤلف، والإسهاب بذكر تفاصيل حياته، ومع ذلك فقد توفرت نسختين من مخطوط الرسالة، مما ساعد على تحقيق النص، وإخراجه بصورة علمية، إلا أن إحداهما كانت بخط غير جيد، وذكر المؤلف في تفسير هذه الآية الصغيرة الحجم، عددًا من العلوم، فأجاد في كثير من المواضع سبك الكلام والتنقل بين تلك العلوم والفنون من مقوله أو منقولة؛ فصاغ التفسير بأسلوب بلاغي، يظهر فيه عمقه اللغوي، مع اعتماده على من سبقه من المفسرين كالبيضاوي والنسفي في تفسيرهما، والتصريح بالنقل عنهما، مع ذكر رأيه في الترجيح بين الأقوال.

الكلمات المفتاحية: التبريزي، تفسير، خلق لكم، ما في الأرض جميعًا، استوى إلى السماء.

A research on the interpretation of the Almighty's saying {هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ}

ByMawla Muhammad bin Abdul Awal Al-Tabrizi (d. after 940 AH): A Study and investigation

Dr. Noura bint Abdul Aziz bin Muhammad Al-Aal,
Professor of the Qur'an and its Sciences, Department of Islamic Studies, College of Education, Umm Sattam bin Abdul Aziz University, Saudi Arabia

Abstract

The study includes the verification of the manuscript: "A research in the interpretation of the Almighty's saying: (It is He who created for you all that is on the earth. Then He directed Himself to the heaven), by Mawla Muhammad bin Abdul Awal Al-Tabrizi (d. after 940 AH): A Study and investigation".

The research aims to copy the brief message in the interpretation of the verse, and to correct it, to present the text correctly as its author intended, and to document and clarify the text, attribution and material.

The most important results that I reached can be summarized as follows: Historians did not expand on the author's biography, but elaborated on mentioning the details of his life. However, two copies of the manuscript of the letter were available,

which helped in verifying the text and producing it in a scientific manner, but one of them was not well printed. The author mentioned in his interpretation of this small verse a number of sciences, and in many places he excelled in the style of speech and moving between those sciences and arts from what was said or transferred. As a result, he formulated the interpretation in a rhetorical style, in which his linguistic depth is evident, with reliance on those who preceded him from the interpreters such as Al-Baydawi and Al-Nasafi in their interpretation, and explicitly quoting from them, presenting his opinion in weighting between the sayings.

Keywords: Al-Tabrizi, interpretation, created for you all that is on earth, He directed Himself to the heaven.

مقدمة البحث:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الفرقان ليكون للعالمين نذيرا، وصلِّ اللهم وسلم على المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آلة وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن أشرف العلوم وأعلاها منزلة تلك التي تخدم كتاب الله – عز وجل–؛ لأن شرف العلم من شرف المعلوم.

ولقد توالى الاهتمام بالقرآن الكريم وعلومه على مر العصور منذ نزوله إلى يومنا هذا، ومن أشهر وأعظم تلك العلوم علم التفسير الذي لم يخلُ عصر من العصور منه، حيث اهتم علماء المسلمين به، فخلّف هؤلاء العلماء تُراثًا ضخمًا، ومما خلفوه الرسالة التي طلبها السلطان العاشر في يوم ختان ابنيه يزيد وجها نكير من المؤلف في تفسير قوله تعالى: {هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ} "[سورة البقرة:29]"، فبادر لتحقيق طلب السلطان المولى محمد بن عبد الأوّل التبريزي (ت بعد 940هـ) في 21 لوحًا.

فجاء البحث لتحقيقها، وفق قواعد التحقيق، وإخراجها كما أراد مؤلفها.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

وقع اختياري على تحقيق رسالة في تفسير قوله تعالى: {هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ} "[سورة البقرة:29]،" للأسباب التالية:

١– تعلق هذا المخطوط بعلم التفسير، والذي هو بيان لكتاب الله تعالى.

٢– المخطوط رسالة مختصرة في تفسير الآية ويحتاج إلى تحقيق، لذا رغبت في تحقيقه؛ لخدمة التفسير، من خلال الوقوف على جهود العلماء، وإضافته للمكتبة الإسلامية، لسهولة وصول الباحثين إليه.

٣– توفر نسختين من المخطوط لهذا التفسير، مما يساعد على المقابلة بأكمل صورة.

٤– خدمة المخطوط بتخريج الروايات والآثار، ونسبة الأقوال؛ وإخراجها؛ لتكمل الفائدة ويعم النفع.

منهج البحث:

الالتزام بالمنهج الاستقرائي في قسم الدراسة وهو كالتالي:

١– دراسة لحياة المؤلف ومنهجه في التفسير، وذلك بتتبع مواقع ترجمته في كتب التراجم والسير.

٢– تحقيق نسبة الرسالة إلى مؤلفها، من خلال الاطلاع على كشّافات أسماء الكتب والفنون وأسماء المؤلفين.

الالتزام بالمنهج العلمي المتفق عليه في تحقيق المخطوطات وسرت على قواعده وهو كالتالي:

١– اعتماد نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة، تحت رقم: (٥٢٣ تفسير تيمور)، النسخة الأم، وترميزها بالرمز (أ)، واختيار نسخة رقم: (١٠٠ تفسير تيمور)، بالرمز (ب) للمقابلة.

٢– نسخ القدر المراد تحقيقه وفق قواعد الترقيم والإملاء الحديثة، وإخراجه كما أراد مؤلفه.

٣– الإشارة في الهامش إلى اختلاف النسخ، ووضع السقط بين معقوفين من أي نسخة كانت، وإثبات النص الصحيح في المتن.

٤- عدم إثقال الهوامش بذكر الفوارق غير المؤثرة بين النسخ.

٥- ضبط ما يحتاج إلى ضبط من النص.

٦- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وعزوها إلى سورها وترقيمها في الهامش.

٧- تخريج الأحاديث الواردة، من مظانها مع ذكر أقوال أهل العلم فيها.

٨- عزو النصوص والأقوال إلى مصادرها الأصلية.

٩- نسبة الأبيات الشعرية إلى قائليها، وتخريجها من مظانها.

١٠- ذكر بيان معنى ما يحتاج إلى التوضيح من الألفاظ التي وردت في المتن مستعينةً في ذلك بالمعاجم اللغوية.

١١- إثبات الصلاة على النبي والترضية عن الصحابة عند كل موضع ورد في المتن.

١٢- إثبات علامات الترقيم، والأقواس، والتنصيص، حسب المتعارف عليه من قواعد الإملاء.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وقسمين وخاتمة.

المقدمة وتشتمل على: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، منهج البحث، خطة البحث.

القسم الأول: الدراسة وتتضمن:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف وحياته العلمية

المطلب الأول: حياة المؤلف الشخصية: اسمه ونسبه، لقبه، مولده ونشأته، عقيدته ومذهبه، وفاته.

المطلب الثاني: حياة المؤلف العلمية: شيوخه، تلامذته، أقوال العلماء فيه، مؤلفاته.

المبحث الثاني: التعريف بالرسالة

المطلب الأول: توثيق اسم الرسالة ونسبتها لمؤلفها.

المطلب الثاني: منهج المؤلف ومصادره في تفسيره.

المطلب الثالث: وصف نسخ المخطوط، ونماذج منها

القسم الثاني: النص المحقق

ويليه الخاتمة، ثم فهارس المصادر والمراجع والموضوعات.

القسم الأول: قسم الدراسة

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف وحياته العلمية

المطلب الأول: حياة المؤلف الشخصية

أولًا: اسمه ونسبه ولقبه:

اسمه: محمد بن عبد الأول التبريزي، الرومي، يلقب: محيي الدّين، وأغلب المترجمين اقتصروا في نسبه على هذا[١]، بينما توسع بعض المترجمين فذكروا اسمه محمد بن عبد الأول بن حسين بن حسن الشريف الحسيني القمري الجعفري، التبريزي ثم الرومي، الشافعي ثم الحنفي الأشعري، المعروف بصاجلي أمير، الملقب: قاضي القضاة شمس الدّين[٢].

ثانيًا: نشأته وطلبه العلم:

لم يتوسع المؤرخون في ترجمته، ولم تحدد كتب التراجم تاريخ ولادته، ولا أسرته وأولاده.

وجاء في نشأته أن محمد بن عبد الأول قرأ على والده قاضي الحنفية، ودرس بتبريز بالمدرسة الدمشقية في حياة أبيه العلامة عبد الأول الدرس العام، سنة ست عشرة إلى سبع عشرة[٣].

وأتى في حياة والده بلاد الروم، وعرضه المولى ابن المؤيد على السلطان بايزيد خان؛ لمعرفة سابقة بينه وبين والده، فأعطاه السلطان بايزيد خان مدرسته.

ورأى المولى جلال الدين الدواني وهو صغير، وحكى منه غاية العظمة والجلالة والهيبة والوقار.

ثالثًا: توليه القضاء:

اختار منصب القضاء فصار قاضيًا بعدة بلاد من بلاد الروم والشام، ثم أعطاه السلطان مدرسة الوزير مصطفى باشا بككيويزه، ثم صار مدرسًا بمدرسة مغنيسا، ثم ولي تدريس إحدى المدرستين المتجاورتين بأدرنه، ثم مدرسًا بإحدى المدارس الثمان[٤].

وولي قضاء حلب في الدولة السليمانية العثمانية في أواخر سنه تسع وأربعين وتسع مئة، ثم أضرت عيناه، وعلم بالعزل فانقطع عن الحكم يوم الأربعاء خامس شعبان سنة إحدى وخمسين وتسع مئة[٥].

---

(١) الشقائق النعمانية. (ص٢٨٩)، الكواكب السائرة ٣٨/٢، معجم المؤلفين (١٠/ ١٢٢).

(٢) الشقائق النعمانية. (ص٢٨٩)، در الحبب في أعيان حلب (٢٢١/١-٢٢٥)، الكواكب السائرة (٢/ ٣٩)، شذرات الذهب (٤٣٥/١٠ - ٤٩٠)، سلم الوصول (٧٩/٥)، معجم المؤلفين (١٠/ ١٢٢)، معجم تاريخ التراث الإسلامي (٢٧٨٦/٤)، سجلّ عثماني (٣٤٥/٤)، الفهرس الشامل (٢١٥٢/٨).

(٣) در الحبب في أعيان حلب (٢٢٥/١).

(٤) الشقائق النعمانية. (ص٢٨٩)، الكواكب السائرة (٢/ ٣٨).

(٥) در الحبب في أعيان حلب (٢٢١/١-٢٢٥)، معجم المؤلفين (١٠/ ١٢٢).

وأعطي تقاعدًا لكل يوم ثمانين وقيل: مائة درهم، ومات على تلك الحال[١].

رابعًا: عقيدته:

قال عنه الغزي: "كان فاضلًا زاهدًا صحيح العقيدة"[٢].

خامسًا: وفاته

توفي في القسطنطينية في شهر محرم سنة ثلاث وستين وتسعمائة [٣]، وقيل: توفي سنة أربع أو خمس وخمسين وتسعمائة رحمه الله تعالى[٤].

المطلب الثاني: حياة المؤلف العلمية

أولًا: مكانته العلمية:

قال عنه طاش كبري زاده: "العالم الفاضل الكامل المولى".

كان ذا علم ولسان، ويكتب أنواع الخطوط بخط جيد حسن، وله تعليقات على بعض المواضع من الكتب، وتواقيع يسطرها في صدور الوثائق مسجعة على أنحاء شتى، ذاكرًا فيها في أواخرها أنه سطرها من آل عهد محمد، محمد بن عبد الأول، القاضي بحلب.

كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا عارفا بالعلوم العربية والشرعية وكانت له معرفة تامة بصناعة الإنشاء وله منشآت في لسان العربية والفارسية والتركية، وكان أكثر اهتمامه بالمحسنات اللفظية[٥].

قال ابن طولون: "كان محمود السيرة، له حرمة زائدة"[٦]، وكان كريما لا يذكر كل أحد إلا بخير وكان صاحب أدب ووقار[٧]، وكان له ذؤابتان يخضبها ولحيته بالسواد[٨].

ثانيًا: آثاره ومؤلفاته:

١- "تفسير قوله تعالى: {هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ}" [سورة البقرة:29]، ألّفه سنة ٩٤٦ هـ لطلب السلطان سليم خان بن سليمان خان بن سليم خان العثماني؛ الخزانة التيموريّة ٥٢٣ جزء ١؛ رقم ١٠٠ جزء ١، ١٢٤٢هـ[٩].

---

(١) الشقائق النعمانية. (ص٢٨٩)، الكواكب السائرة (٢/ ٣٨).

(٢) الكواكب السائرة (٣٨/٢).

(٣) الشقائق النعمانية. (ص٢٨٩)، شذرات الذهب (٤٩٠/١٠)، سلم الوصول (٧٩/٥)، معجم المؤلفين (١٠/ ١٢٢)، سجلّ عثماني (٣٤٥/٤).

(٤) الكواكب السائرة (٢/ ٣٨)، سلم الوصول (٥ / ٧٩)، الفهرس الشامل (٢١٥٢/٨).

(٥) در الحبب في أعيان حلب (٢٢١/١-٢٢٥).

(٦) شذرات الذهب (٤٩٠/١٠).

(٧) الشقائق النعمانية (ص٢٨٩).

(٨) در الحبب في أعيان حلب (٢٢٥/١).

(٩) معجم تاريخ التراث الإسلامي (٢٧٨٦/٤).

٢- "رسالة في كشف ما دار على استدارة الأرض وكرويتها في الهيئة"، ألفه سنة ٩٤٠هـ بخطّ المؤلّف، آياصوفيا رقم ٦/٢٦٢٥ ألواح [١]، ومجامع برقم (١٦٩٨) الأتراك، مكتبة الأزهرية (٨٣٣٢٣).

٣- رسالة في بيان المسح على الخفين وغيره على مذهب الحنفية، رقم الحفظ أيا صوفيا ١١٨٢، ٣١ لوح مخطوط.

٤- حاشية على "شرح هداية الحكمة لملا زاده"[٢].

٥- "رسالة في قوله تعالى: {قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ} [سورة طه:٧١]، أوله: "... بدأ الكلام على دأب من له قلب سليم ... " أخره:" ... والتوسل في معرفته بأفضل بني آدم، نبي لا نبي بعده في العالم صلى الله عليه وسلم آمين.

خزانة تطوان – المغرب (ق.ع) ١٧٥رقم (٢٧/٢٣٩م) من ٤٦-٥٩ص (ضمن مجموع الآية ٧١ من سورة طه[٣] فرغ من تأليفه في ٢١ شوال ٩٤٠هـ.

"الدر المنضود في بحث الوجود"، محمد بن عبد الأول الشيرازي التبريزي ت: ٩٥٤هـ، انتهى من تأليفه في سنة (٩٣٧هـ)، مكتبه عارف حكمت- المدينة المنورة- رقم الحفظ: ٣٣ توحيد.

٦- وعنها مصورة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- الرياض- رقم الحفظ: ٠٦٧٦-فح.

٧- رسالة في الموعظة: (موسى عليه السلام والسحرة) أيا صوفية ٢٦٢٥/ ٩ ألواح، ورقم (١٦٩٨) مكتبة الأزهرية (٨٣٣٢٣)، انتهى منها في ٩٤٠هـ.

٨- رسالة عبد الأول في التوحيد، مجموع متنوع ٣٦٩١/ مجاميع ٨٣٣٢٣، ٨٣ لوح.

(١) معجم تاريخ التراث الإسلامي (٤/٢٧٨٦).

(٢) شذرات الذهب (١٠/٤٣٦)، الكواكب السائرة (٢/ ٣٨)، معجم المؤلفين (١٠/ ١٢٢).

(٣) الفهرس الشامل (٨/٢١٥٢)، فهرس مخطوطات الخزانة العامة بتطوان.

المبحث الثاني: التعريف بالرسالة وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: توثيق اسم الرسالة ونسبتها لمؤلفها

تسمية الرسالة بـــ "تفسير قوله تعالى: {هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ}" من وضع محمد بن عبد الأول التبريزي.

وهي كما ذكرها في مقدمة المخطوط: صنفها سنة (٩٤٦ هـ) لما أرد السلطان سليمان شاه بن السلطان سليم شاه بن السلطان بايزيد خان أن يختن ولديه أبي يزيد وجهانكير أمر جملة العلماء، وجلة الفضلاء، أن ينظروا في تفسير هذه الآية، ويأتوا بما آتاهم الله من فضله إلى عتبته العالية، فطالع في تفسيرها بقدر التوفيق والتيسير، في وقت يسير، واطلع على ما أفاد وأجاد في بيانها من الخلف والسلف كلُّ نحرير بتحرير، فألف ما ألفاه من السوانح الفائقة الشائقة، ونمق ما حققه من اللوائح الرائقة اللائقة.

ونجد أن كتب التراجم[1] قد اتفقت على نسبة "رسالة في تفسير قوله تعالى: {هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ}" لمؤلف التبريزي، بلا خلاف في ذلك.

ومحمد بن عبد الأول التبريزي جعل تسميته على عنوان الآية التي طلب السلطان تفسيرها، وجاء على خلاف النسخ المحفوظة بدار الكتب بالقاهرة، والتي تحت عنوان: "رسالة في تفسير قوله تعالى: {هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ}".

ولا يبقى بعد هذا شك في نسبة "رسالة في تفسير قوله تعالى: **"{هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ}"**، لمحمد بن عبد الأول التبريزي كما صرح بذلك في مقدمته.

المطلب الثاني: منهج المؤلف ومصادره في تفسيره

أولاً منهج المؤلف:

بين محمد التبريزي رحمه الله منهجه في تفسيره، حيث بدأ الكلام في تفسير الآية بمقدمة افتتحها بقوله:" بسم الله الرحمن الرحيم"، وعزّز لعاشر السلاطين العثمانية السلطان سليمان شاه، وذكر سبب تأليفه للرسالة عندما أراد السلطان أن يختن ابنيه، وجمع أركان دولته من الأعيان، والوزراء لوليمة بهذه المناسبة، وطلب من العلماء والفضلاء أن ينظروا في تفسير هذه الآية.

قال: "أراد أن يختن ولَديه الأعزَّيْن الأغرَّيْن، وابنيه الأبرَّيْن الأنورَيْن"، وقال: "وأمر جملة العلماء، وجلّة الفضلاء، شكر الله مسَاعِيَهم في نشر العلوم".

ويستشهد بالشعر من نظمه، وأنشد أبياتًا من الشعر في مدح السلطان، كما ذكر في مقدمته:

(١) الكواكب السائرة (٣٩/٢)، معجم المؤلفين (١٢٢/١٠)، الفهرس الشامل (٢١٥٢/٨)، معجم تاريخ التراث (٢٧٨٦/٤).

"هو البدر إن كان للبدر نجدةٌ هو البحر إن كان للبحر سُؤدَدُ
جميع ملوكِ الأرض تابعُ أمرِه كما أنّ بين الناس كان محمد
مثنّى سليمان إلا كَمُفْرِدٍ بأوصافه جمع وبالذات مفرد"

وبدأ تفسير الآية بقوله: "أقول – وبالله التوفيق، وبيده أعنّة العون في التحقيق".

ولا يخلو تفسيره من الاستشهاد بالآيات القرآنية، كما قال: قوله: لقوله تعالى: {وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ} الآية، قلنا: مُعارَض بقوله: {قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا} الآية [سورة الأعراف:٣٢].

ويستشهد بآثار غير صحيحة، وإن كان غير مكثر في ذلك، قال: بل الأرض وما فيها جميعًا على ما رُوي في الحديث القدسي: «يا ابن آدم، خلقت الأشياء لأجلك، وخلقتك لأجلي»(١).

ويذكر أحيانا الآثار في تفسيره قال: قال ابن عباس ومجاهد والحسن البصري في تفسيره- رضوان الله عليهم أجمعين – بتقدم خلق الأرض، وقال مجاهد بعكسه(٢).

ونجده أحيانا يصرح بالنقل عن أهل اللغة، قال: قال في الصحاح: "وكل ما سفل فهو أرض"، وفي القاموس – في أثناء بيان معاني لفظ الأرض: "وكل ما سفل"(٣).

وله اهتمام جيد بدلالات الألفاظ من خلال مقدرته اللغوية، وحوصلته العلمية؛ مما يضفي على كلامه رونقًا وبهاء.

فيستخدم بعض الأساليب البلاغية كالسجع كما في المقدمة، قال: "الذي لسان الإنسان في ذكر ألقابه كَلّ، وبنان البيان في نشر أوصافه فلّ، وقَدَم القلم في نقش أنسابه زلّ، وخير الكلام ما قل ودلّ"(٤).

ويورد الأقوال ويختار منها ويقارن مقارنة علمية بين أقوال المفسرين، قال: وقال بعض من الأفاضل – أعني المولى خسرو رحمه الله – بعد ما قرَّر وحرَّر عبارة القاضي بقولِه: قولُه: "فإنها – أي النعمة الأولى – مرة بعد أخرى قيدٌ للخلق؛ فإنه خلقهم كذلك مرة في الدنيا ومرة في الآخرة، وهذه – أي النعمة الأخرى – خَلْق ما يتوقف عليه بقاؤهم".

وتارة يرد ويناقش بعض الأقوال: قال: فقول المعترض: "ترتب هذه النعمة على الأولى لا يصح"؛ لا يصح، ولكن تقييد القاضي بقوله: "مرة بعد أخرى"، لو لم يكن؛ لكان أحرى(٥).

ويذكر الأقوال ويرجح بينها، قال:" و«سمواتٍ» نصب على خمسة أوجه، أوجهها: أنه بدل من الضمير المنصوب بـ«سواهن» العائد إلى السماء، كقولك: أخوك مررت به زيدٍ".

(١) ينظر: (ص٢٢).
(٢) ينظر: (ص٣٤).
(٣) ينظر: (ص٢٩).
(٤) ينظر: (ص١٧).
(٥) ينظر: (ص٢١).

وقال: "وبهذا يظهر فساد ما قاله القاضي ردًّا على الراغب الأصفهاني من أن تقدير الناصب قبل لفظة الأرض في قوله تعالى: {وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠} خلاف الظاهر؛ فإن الآية السابقة لما دلت عليه دلالة بينة ظاهرة كيف يكون خلاف الظاهر؟! فقوله: خلاف الظاهر؛ خلاف الظاهر"(١).

ويتوسع في بعض المسائل ويضع لها عنوان (وفيه بحث)، قال: "فيه بحث، وهو أن ترتب هذه النعمة على الأولى لا يصح لوجهين؛ أحدهما: أن الترتب"(٢).

ويستعرض أقوال المعربين ويختار منها، وينقل أقوال أهل اللغة، ومن ذلك عند قوله:"و«سمواتٍ» نصب على خمسة أوجه: أوجهها: أنه بدل من الضمير المنصوب بـ«سواهن» العائد إلى السماء، كقولك: أخوك مررت به زيدٍ، وثانيهما: أنه بدل من الضمير المبهم المفسر، وقد عرفت ما فيه. **وثالثها:** ما قاله أبو البقاء من أنه مفعول به لقوله: سوَّى، على الحذف والإيصال"(٣).

ثانيًا: مصادر المؤلف في تفسيره:

يتضح من طلب السلطان سليمان من جملة العلماء أن يؤلفوا رسالة في تفسير الآية، ومن تصريح عبد الأول التبريزي سرعةُ مبادرته في التفسير من خلال مطالعته في تفسير الخلف والسلف، وما جادت به علميته.

قال: "فألفت ما ألفيته من السوانح الفائقة الشائقة، ونمقت ما حققته من اللوائح الرائقة اللائقة، مع ما بي من الكلال، لفرط الملال".

ونقل بالتصريح عن البيضاوي، والزمخشري في الكشاف، والنسفي في التيسير، والرازي.

قال: وقال القاضي البيضاوي: في بيان هذه الآية "بيان نعمة أخرى مرتَّبَة على الأولى، فإنها خَلْقُهم أحياءً قادرين مرة بعد أخرى، وهذا خَلْقُ ما يتوقف عليه بقاؤهم وتم به معاشهم"(٤).

وقال: "أقول: يمكن أن يؤخذ مما ذكره المصنف هاهنا، يعني صاحب الكشاف"(٥).

وقال: "وعلى ما نقله النسفي في تفسير التيسير: قال ابن عباس ومجاهد بالأول، وقال قتادة والسدي بالثاني؛ فإن الثعلبي نقل ما صورته هذا"(٦).

وقال: ولذا قال الإمام الرازي في التفسير الكبير لتفسير هذه الآية: "إن هذا هو النعمة الثانية التي عمَّت المكلفين بأسرهم، وما أحسن ما راعى الله سبحانه هذا الترتيب"(٧).

---

(١) ينظر: (ص٣٧).
(٢) ينظر: (ص٢٠).
(٣) ينظر: (ص٣٣).
(٤) ينظر: (ص١٩).
(٥) ينظر: (ص٣٨).
(٦) ينظر: (ص٣٤).
(٧) ينظر: (ص١٩).

وأحيانا لايصرح المؤلف بمن نقل عنه، وهو هنا يعني: ابن كمال باشا كما جاء في هامش التفسير، قال: "فما قاله بعض المحققين في تفسير هذه الآية يعني: الحكمة والمصلحة في خلقه انتفاعُكم، وهذا لا ينافي التوقف في الانتفاع به على رخصة الشرع"(١).

المطلب الثالث: وصف نسخ المخطوط، ونماذج منها

وصف وأماكن توفر نسخ المخطوط: يوجد منها –فيما أعلم– نسختان خطيتان:

الأولى: تحتفظ بها دار الكتب المصرية بالقاهرة، تحت رقم: (٥٢٣ تفسير تيمور)، تقع في (٢١) لوحة، مسطرتها: (١٣) سطرًا، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر: عشر كلمات، مقاس: (٢٠ × ١٤ سم)، زبرها مؤلفها، وحررها مصنفها بدار السلطنة السنية (قسطنطينية)، في أواسط شهر رجب سنة (٩٤٦هـ)، وبها آثار ترميم وعرق، وعلى هامشها حواشي وتعليقات، وهي من موقوفات أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور، سنة (١٣٢٠هـ).

الثانية: تحتفظ بها الدار السابقة، تحت رقم: (١٠٠ تفسير تيمور)، تقع في (١٠) لوحات، مسطرتها: (٣١) سطرًا، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر: عشر كلمات، مقاس: (١٩ × ١٣ سم)، كتبها لنفسه محمد أحمد المرصفي القليوبي المصري الشافعي الخلوتي، ظهر يوم الاثنين رابع عشرين شهر شوال سنة (١٢٣٢هـ)، وبها آثار ترميم وبقع، بخط غير جيد، وعلى هامشها زيادات بنفس خط الكاتب، وهي من موقوفات أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور، سنة (١٣٢٠هـ).

مؤلفاته:(٢).

الدر المنضود في بحث الوجود، مخطوط محفوظ في مجامع برقم (١٦٩٨)، والأتراك، مكتبة الأزهرية (٨٣٣٢٣).

موسى عليه السلام والسحرة، مخطوط محفوظ في مجامع برقم (١٦٩٨)، والأتراك مكتبة الأزهرية (٨٣٣٢٣).

استدارة الأرض وكرويتها، مخطوط محفوظ في مجامع برقم (١٦٩٨)، والأتراك مكتبة الأزهرية (٨٣٣٢٣).

رسالة في بيان المسح على الخف وغيره على مذهب الحنفية، مخطوط محفوظ في مكتبة آيا صوفيا برقم (١١٨٢)

رسالة في الموعظة مخطوط محفوظة في مكتبة آيا صوفيا برقم (٢٦٢٥).

(١) ينظر: (ص٢٧).

(٢) فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهرية (٢/ ٦٦).

مصورات النسخ المخطوط

الورقة الأولى من نسخة (أ)

الورقة الأولى من نسخة (ب)

القسم الثاني: قسم التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نعتصم عما يصم[١] في الابتداء والتتميم، الحمد لله الذي خلق المُـــلك بقدرته العظيمة خلقًا بديعًا، هو الذي خلق لنا ما في الأرض جميعًا، وقصد إبداع الملكوت[٢] بإرادته القديمة العديمة الفوات، ثم استوى إلى السماء فسـواهن سـبع سموات، شـهد بإتقان علمه العظيم آيات كتابه الكريم، وحكم بإحكامه وإحاطته على نهج قويم بينات القرآن الحكيم، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وهو بكل شيء عليم.

فيا مَنْ مَنَّ علينا بفيض عميم، وأفاض علينا بمنٍّ جسيم، صلِّ وسلِّم أفضلَ تصليةٍ[٣] وأكملَ تسليم على أفضل عبَادك [١/أ/أ] وأكمل عُبَّادك سيدنا محمد الحليم، وعلى آل محمد ذوي قلب سليم كما صليت على أبيه النبيه إبراهيم وعلى آل إبراهيم، الذي سنَّ سنَّة الختان سنَّةً حسنة، وحَسَّنَ ربُّه كل ما سَنَّه وما أحسنه، وأرض [اللهم][٤] عن جميع الصحابة الذين صحبوا سَننه[٥]، ولم يتركوا سُننه، وعن التابعين الذين اتباعهم بإحسان حسنة وأي حسنة، ما تقدم على النوم سِنَة، وما تأخر عن اليوم سَنة، [أما بعد][٦]:

فإن حضرة من حضرتْ عند سَدَنة سُدَّتِه[٧] السنية، أعاظُم السلاطين، لتقبيل بابه الرفيع، وخِدمةِ مَن خَدَمت لِـــخَدَمَةِ عتبته العلية، أفاخم الخواقين[٨] لتبجيل جنابه المنيع، والتثمت[٩] رِكابَ خُدَّامه، ملوكُ الممالك كالمماليك، واكتحلت بتراب أقدامه عيونُ الأعيان كالصّعَاليك، هو الذي جعل قرابَ[١٠] سيفه رقاب الجبابرة من أعداء الدين، وصيَّر تكثير [١/أ/ ب] سيبه[١١] إكسيرًا[١٢] لكَسْر الأكاسرة، من المشركين والملحدين، فاق سلاطين الآفاق بعلو الهمم، وطار في الأقطار صيتُ صولته بين الأمم، المجاهد في الله، والمجازي لمن اتخذ آلهةً سواه، المتخلق بخلق الرحمن، خَلَفُ سَـلَفِ آل عثمان، خليفة الله على خليقته، عناية الله لبريّته، محيي مراسـم الشـرع المبين، مُحكِم مرافق الدين

(١) قَالَ أَبُو عُبَيدة: الوَصْمُ: العَيْبُ يكون فِي الْإِنْسَان وَفِي كلّ شَيْء. ينظر: تهذيب اللغة (١٨٣/١٢).

(٢) الملَكوتُ من الملْكِ، كالرَهَبوتِ من الرَهْبَةِ، زيدت فيه التاء للمبالغة. ينظر: الصحاح (١٦١٠/٤).

(٣) صَلَّى صَلاةً، لا تَصْلِيَةً: دع. ينظر: القاموس المحيط (ص١٣٠٤).

(٤) سقط من ب.

(٥) (السَّنَنُ) الطَّرِيقَةُ، ينظر: مختار الصحاح (١٥٥/١).

(٦) سقط من ب.

(٧) السِّدةُ: كالفناء حول البيت. ينظر: مجمل اللغة (٤٥٧/١).

(٨) الخاقان: لقب لكل ملك من ملوك الترك، والجمع خوَاقِين. ينظر: المعجم الوسيط (٢٤٨/١).

(٩) التثمت وتلثمت، إذا شدَّت اللِثامَ. وهي حسنةُ اللِثْمَةِ. ينظر: الصحاح تاج اللغة (٢٠٢٧/٥).

(١٠) القراب وَهُوَ وعَاء من أَدَم يكون فِيهِ السَّيْف بغمده وحمائله. ينظر: جمهرة اللغة (٢٦٥/١).

(١١) السيب: العطاء.

(١٢) (الإكسير): مَادَّة مركبة كَانَ الأقدمون يَزْعمُونَ أَنَّهَا تحول الْمَعْدن الرخيص إِلَى ذهب وشراب فِي زعمهم يُطِيل الْحَيَاة. ينظر: المعجم الوسيط (٢٢/١).

المتين، مدار العزّ وَالسلطنة والتمكين، ملاذ الإسلام والمسلمين، واحد الزمان حكمًا وعِظمًا، وثاني سليمان اسمًا ورسمًا، لمؤلفه:

هو البدر إن كان للبدر نجدةٌ ... هو البحر إن كان للبحر سُؤدَدُ

جميع ملوكِ الأرض تابعُ أمرِهِ ... كما أنّ بين الناس كان محمد(١)

مثنّى سليمان إلا كمُفْرِدٍ ... بأوصافه جمع وبالذات مفرد

الذي لسان الإنسان في ذكر ألقابه كَلّ(٢)، وبنان البيان في نشر أوصافه فلّ، وقَدَم القلم في نقش أنسابه زلّ، وخير [٢/أ/أ] الكلام ما قل ودلّ، السّلطان بن السّلطان بن السّلطان السّلطان سليمان شاه بن السّلطان سليم شاه بن السّلطان بايزيد خان(٣)، خلّد الله سبحانه سلطانه، وصان شأنه عمّا شانه، وأدام أيّامه إلى يوم القيامة، وأنام الأنام في ظُلَّةِ ظِلِّهِ مَا ظَلّت غَمامة.

لمّا كان لا يزال تابعًا للشّريعة الشريفةِ النبوية، وما يبرَحُ طائعًا للسنّة السَنيّة المصُطفويّة، أراد أن يختن ولَديه الأعزَّيْن الأغرَّيْن، وابنيه الأبرَّيْن الأنورَيْن، الأسعدين الأرشدين، الأمجدين الأجودين، المماثِلين بالسّعدين (٤)، والمشابهين بالفرقدين(٥)، اللذان هما لِدَرج الإقبال دُرَّان(٦)، ولِبرُج الإفضال درّيّان،(٧) أحدهما من هو في سنّ الصّغر عن خلاف الكبر أبي يزيد فضلًا وكرمًا، والآخر من سمّي بجهانكير(٨) مرجوًّا منه أن يأخذ على وفق اسمه الممالكَ عَربًا وعجمًا، أنبتهما الله نباتًا حسنًا [٢/أ/ب]، وثبتهما على طريقة ذات بهجة وسَنًا، وبارك لهما ولأبيهما ختانهما، وجعلهما أعوان والدِهما وأعانهما.

فأشار إلى أركان دولته القاهرة، وأعيان حضرته الزاهرة، من عظماء الوزراء والدّساتير، الذين هم حكماء الآراء والتّدابير، خَلَّد الله إقبالهم، وحَصَّل في الدارين آمالهم، بترتيب ختانٍ ختامُه مسك، وتكميل وليمةٍ لَميّتها(٩) نسك، فرتّبوا ختانًا وأيّ ختان، ما رأى مثله إنس قبلنا ولا جان، وأمر جملة العلماء، وجلّة الفضلاء، شكر الله مسَاعِيَهم في نشر العلوم، وكثّر مَعَاليمَهم ومعَاليهم إلى وقتٍ معلوم، على دأب آبائه العظام من أسلاف السلاطين، وعادة

---

(١) [ب/ب/١].

(٢) (كل) كلولا وكلالة ضعف، يُقَال كل السَّيْف وَنَحْوه لم يقطع فَهُوَ كليل وكل وَفُلَان تَعب ف وكل عَن الْأَمر ثقل عَلَيْهِ. ينظر: المصباح المنير (٢/٥٤٠)، المعجم الوسيط (٢/٧٩٦).

(٣) عاشر السلاطين العثمانية. ينظر: إفادة الأنام بذكر أخبار البلد الحرام (١/٤٤٠)، تاريخ الكعبة المعظمة، (ص٣٢٤)، التاريخ القويم (٤/١٨).

(٤) النجمان: الزهرة والمشتري، وهما من ألمع الأجرام السماوية المرئية بالعين المجردة بعد الشمس والقمر. ينظر: تاج العروس (١٦/٥٣٨).

(٥) الفرقدان: نَجمان فِي السَّمَاء لَا يَغْرُبان، ولكنَّهما يطوفان بالجَدْي، ينظر: تهذيب اللغة (٩/٣٠٧)، جمهرة اللغة (٢/ ١١٤٧).

(٦) الدر: الحبة العظيمة من اللؤلؤ. ينظر: جمهرة اللغة (٢/٦٤١).

(٧) الكوكبان المضيئان في الليلة المظلمة، مَنْسُوب إِلَى الدُّرِّ فِي صَفائِه وحُسْنِهِ وبَهائه وبَياضِهِ. ينظر: تاج العروس (١١/٢٣٢).

(٨) اسم أصله فارسي معناه: ملك الملوك.

(٩) اللميّةُ هي الْعلَّة. ينظر: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (١/١٦٢).

أجداده الكرام من أشراف الأساطين: أن ينظروا في تفسير هذه الآية الآتية، ويأتوا بما أتاهُم الله من فضله إلى عتبته العالية، وهي [٣/أ/أ] قوله عز قوله من كلامه القديم، وقرآنه العظيم: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة:٢٩]، وبعد استجماعهم غُرَر الحقائق من سطور الصدور، وغِبَّ استخراجهم دُرَر الدقائق من بحور النحور، وإثر استنباطهم زواهر الأنظار، من الطّبع الوقّاد، وعقيب[١] [٢] استجلابهم جواهر الأفكار، من ألْفِ وادِ الفؤاد، يؤلفوا منها رسالة، ويُصنّفوا فيها عُجَالة.

فلما نزل بهذا الوجه الوَجيه، والنّهج النّبيه، من ذاك الباب الشريف المنيف، إلى هذا العبد الضعيف النحيف، مع سائر الإخوان من أفاضل الآوان[٣]، حُكمٌ واجب اتباعه، وأمرٌ غير ممكن امتناعه، لا زال مَلِك كلّ مُلكٍ له مُتبعًا، وإمكان التخلّف عن اتباعه الواجب ممتنعًا.

قلت: سمعًا وطاعة، وما توقفت ساعة [٣/أ/ب] ولا نصف ساعة، تشرفًا بشرف الامتثال، وإن كان في ضيق المجال، فطالعت في تفسيرها بقدر التوفيق والتيسير، في وقتٍ يسير، واطلعت على ما أفاد وأجاد في بيانها من الخلف والسلف كلُّ نِحرير[٤] بتحرير، فألفت ما ألفيته[٥] من السوانح[٦] الفائقة الشائقة، ونمّقت ما حققته من اللوائح الرائقة اللائقة، مع ما بي من الكلال[٧]، لفرط الملال، وكثرة البِلبَال[٨] بالبَال، لعلّة نكاية الزمان، وقلة عناية الأركان، وتقدم الأنذال لا الأمثال، وتفوق الأرذال لا من هو متقارب الأحوال، هذا وعلى الله الاتكاء والاتكال، في كل حال ومقال، والحال على هذا المنوال، وما لنا من دون الله من وال.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾

أقول وبالله التوفيق، وبيده أعنّة العون في التحقيق:

---

(١) عقيب كل شيء يأتي بعد شيء ويتلوه.

(٢) [ب/أ/٢].

(٣) الآوان: الحين، وهو الزمان قل أو كثر، وسواء كان مفروضا أم لا، فكل وقت أوان دون العكس. ينظر: معجم الفروق اللغوية (٨٥/١).

(٤) النِّحْرِير: العالِمُ بالشيء والحاذِقُ به. ينظر: المفردات في غريب القرآن (٧٩٤/١).

(٥) ألفيته: وجدته. ينظر: المصباح المنير (٥٥٦/٢).

(٦) سوانح: السِّينُ وَالنُّونُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يُحْمَلُ عَلَى ظُهُورِ الشَّيْءِ مِنْ مَكَانٍ بِعَيْنِهِ، وَإِنْ كَانَ مُخْتَلِفًا فِيهِ. ينظر: مقاييس اللغة (١٠٤/٣).

(٧) كلّ كلولا وكلالة ضعف يُقَال كل السَّيْف وَنَحْوه لم يقطع فَهُوَ كليل وكل وَفُلَان تَعب. ينظر: المعجم الوسيط (٧٩٦/٢).

(٨) المشاغل في الرأس، وشدَّة الهُم والوسواس. ينظر: المعجم الوسيط (٦٨/١)، مختار الصحاح (٤٠/١).

لما كان ما في الأرض مقصودًا لغيره لا لنفسه [٤/أ/أ]، لكونه مخلوقًا لأجل انتفاع الإنسان به؛ صار خلقه تاليًا وتابعًا لخلق الإنسان؛ فروعي في الذكر التلوّ[١] والتّبعية، وقدم خلق الإنسان على خلقه لتوافق التّرتّب الذّكري مع التّرتّب الذّاتي، ولذا قال الإمام الرازي في التفسير الكبير لتفسير هذه الآية: "إنّ هذا هو النعمة الثانية التي عمَّت المكلفين بأسرهم، وما أحسن ما راعى الله سبحانه هذا الترتيب؛ فإن الانتفاع بالأرض والسماء إنما يكون بعد حصول الحياة، فلهذا ذكر الله أمر الحياة أولًا ثم أتبعه بذكر السماء والأرض"[٢]، وقال القاضي البيضاوي: في بيان هذه الآية "بيان نعمة أخرى مرتَّبَة على الأولى، فإنها خَلْقُهم أحياءً قادرين مرة بعد أخرى، وهذا خَلْقُ ما يتوقف عليه بقاؤهم وتم به معاشهم"[٣]، [٤].

وقال بعض من الأفاضل – أعني المولى خسرو رحمه الله – بعد ما قرَّر وحرَّر عبارة[٥] القاضي بقولِه: قولُه: "فإنها – أي النعمة [٤/أ/ب] الأولى – مرة بعد أخرى قيدٌ للخلق؛ فإنه خلقهم كذلك مرة في الدنيا ومرة في الآخرة، وهذه – أي النعمة الأخرى – خَلْق ما يتوقف عليه بقاؤهم".

أقول: فيه بحث، وهو أن ترتب هذه النعمة على الأولى لا يصح، لوجهين:

أحدهما: أن التّرتب يقتضي التأخر، وآخر الأولى لا يحصل إلا في الآخرة، فكيف يتأخر عنه النعمة الدنيوية.

---

(١) تِلْوُ الشيء الذي يَتلُوه، وهذا تِلْوُ هذا أي تَبَعُ. ينظر: لسان العرب (١/٤٤٤).

(٢) مفاتيح الغيب (٢/٣٧٩).

(٣) تفسير البيضاوي (١/٦٦).

(٤) في هامش نسخة [ب] كتب تعليق كاتب النسخة محمد أحمد المصري المرصفي في مناقشة الأقوال السابقة:

"أقول: فيه بحث، فإن النعمة الأولى إنما كانت مضي الحياتين والرجوع إليه تعالى بالأصالة، والإماتة بالتبعية، بسبب توقف الإحياء الماضي عليه على ما يدل عليه سوق النظم في قوله عز قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة البقرة:٢٨]، لا خلْقُهم أحياءً قادرين، وأن هذا من ذاك؛ لأن الفرق بين خلقهم المقترن بإحيائهم، وبين إحيائهم عقيب كونهم أمواتًا؛ ظاهر بلا حجاب، وزاهر بلا نقاب؛ لتحقق الجمادية في الثاني دون الأول، كالفرق الظاهر بين قولنا: جاء زيد راكبًا، وبين قولنا: جاء زيد فركب؛ ولأنه نفسه فسَّر كونهم أمواتًا بكونهم عناصر وأخلاطًا وأغذية ونطفًا ومضغًا مخلقة وغير مخلقة، وتقدم هذه الأشياء على الإنسان مقطوع به لدى الجمهور، كيف لا وإن جامعية الإنسان للمراتب الكونية من التطورات مما دل عليه الآيات، ووردت به الروايات، على أن الإقدار مما لا دلالة للنظم عليه وليس بلازم للإحياء، للتخلف عنه في الأحياء العاجزين عن الاستنفاع، فلا وجه للتعبير عن الإحياء بعد الكون بالخلق المقترن بالإحياء والإقدار، اللهم إلا أن يقال أنه من قبيل الحال المقدر اقترانها، ولية التقدير والتعبير أنه أراد أن يشير به إلى كون الإنسان في جميع حالاته، وجملة تطوراته العنصرية والأخلاطية والغذائية والنطفية والمضغية والإنسانية؛ إنما هو بخلقه تعالى، وأن خلقهم على الإنسانية جامع لهذه التطورات، ومستكمل لجميع الكمالات، وأن ذكر الإقدار لأجل الاستنفاع، ويمتنع أن يكون حي عديم الانتفاع بوجه ما مما في الأرض، أو نقول: إن الملازمة بين الأحياء القادرين بحسب الجنس لا بحسب الفرد، حتى يلزم أن لا يتخلف في بعض الأفراد، فتأمل وتتبع طريق الرشاد، إنه رؤوف بالعباد".

(٥) [ب/ب/٢].

وثانيهما: أن النعمة الأخرى إذا كانت خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم كانت متقدمة على بقائهم بلا مِريَة، فتكون متقدمة على الإحياء الثاني لتأخره عن البقاء الأول، فلا يتصور ترتبها على الأولى؛ لتقدمها على ما قبل آخرها.

ويمكن أن يقال: المراد بالترتب: الترتب بالنظر إلى القصد لا الوجود؛ فإن الأولى لمّا كانت هي المقصودة بالذات، والثانية إنما قصدت لأجلها؛ صح الترتب القصدي، وهو لا ينافي التقدم الوجودي، على أن فائدة الثانية – وهي الاستدلال والاستنفاع – إنما يظهر [٥/أ/أ] بعد الأولى بحسب الدارين، وعدُّها نعمة إنما هو باعتبار الفائدة.

أقول: وفي بحثه بحث، أما أولًا: فعلى سبيل المنع بأنَّا لا نسلِّم أن ما ظنه نعمةً: نعمة؛ فإن النعمة على ما أورده القاضي هو الخلق المقترن بالإحياء.

وقوله: "مرة بعد أخرى"[١]؛ ليس قيدًا للخلق، إنما هو قيد للحال فتأمل، فإنه أراد بقوله: "فإنها خلْقُهم أحياءً قادرين"[٢] إلى آخره: أن الأولى ما يتوقف عليه الحياة والقدرة، والثانية: ما يتوقف عليه البقاء والاستنفاع، والبقاء مترتب على الحياة، والاستنفاع مترتب على القدرة.

فالخلق الذي يترتب عليه البقاء والاستنفاع مترتب على الخلق الذي يتوقف عليه الحياة والقدرة، لا أن هذا الخلق مترتب على أحوال ذاك الخلق بأجمعها، أو على ذاك الخلق في كل أحواله، حتى يلزم ما ذكر من تقدم بعض من كل واحد منهما على بعض الآخر، فينعدم الترتب.

وأما ثانيًا: فعلى سبيل التسليم، بأنَّا لو سلمنا كون ما ظنه نعمةً: نعمةٌ، لكن لا نسلِّم لزوم ما ذكر؛ لأنهما ليستا إلا من قبل الحال المقدرة، فإذا قدر [٥/أ/ب] وجودهما معًا؛ تكون الثانية مترتبة على الأولى بجملتها، وفيه ما فيه.

فقول المعترض[٣]: "ترتب هذه النعمة على الأولى لا يصح"؛ لا يصح، ولكن تقييد القاضي بقوله: "مرة بعد أخرى"[٤]، لو لم يكن؛ لكان أحرى[٥].

وارتباط هذه الآية بما قبلها بحسب المعنى، بأنه: كيف تكفرون بالله المتعال أو بقدرته على إعادتكم يوم النكال؟! والحال أن كفركم بحال من الأحوال مما ينبغي أن لا يقع أصلًا بحكم العقل السليم والطبع المستقيم؛ فهذا من قبيل نفي ذات الشيء بانتفاء لازمه، وأنه طريق برهاني لكونه إثباتًا ببينة[٦]، حاصله أنه كيف يكون كفركم مع كونكم عالمين أو متمكنين من العلم بأنكم كنتم أمواتًا فأحياكم؟، إلى آخره، وبأنه خلق لكم – أي: لأجل

---

(١) تفسير البيضاوي (٦٦/١).

(٢) تفسير البيضاوي (٦٦/١).

(٣) المولى خسرو، (ص٢٠).

(٤) تفسير البيضاوي (٦٦/١).

(٥) [ب/أ/٣].

(٦) البرهان هو: القياس المؤلف من اليقينيات، وهو على نوعين: برهان لميّ، وبرهان إنيّ. ينظر: التعريفات (٦٤/١).

انتفاعكم – جميع ما في الأرض، أو محصوله: كيف يكون كفركم حال كونه تعالى أخرجكم من كتم العدم، وأوردكم إلى منصة الوجود؟؛ فإنه كنتم أمواتًا فأحياكم، إلى آخره، وحال كونه تعالى خلق لكم ما في الأرض جميعًا [٦/أ/أ]، بل الأرض وما فيها جميعًا على ما رُوي في الحديث القدسي: «يا ابن آدم، خلقت الأشياء لأجلك، وخلقتك لأجلي»[(١)]، فتكون هذه الآية في موقع الحال بحسب المعنى من فاعل (تكفرون) على الأول، أو من مفعول (تكفرون) على الثاني، عطفًا على قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾، إلى آخره، وإنما خُلِّيت عن الواو الحالية ليدل على فخامة شأنها في كونها نعمة مستقلة؛ فإنها لو حُلِّيت بالواو لأَوْهَم عدم استقلالها في كونها نعمة، لكونها مترتبة على الأولى، ولأنه من تعداد النعم الغالب عليه التعري من الرابط اللفظي.

والخطاب في هذه الآية: إما للكافرين أو للمؤمنين أو للقبيلين معًا؛ أما الأول: فلمقتضى السوق والسبق، وقيل: لأن في نعيم الدنيا همْ الأصول، والمؤمنون تبع؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [سورة الزخرف:٣٣] الآية، ولأن الآخرة خالصة للمؤمنين، فالدنيا للكافرين.

أقول: فيه بحث؛ فإن كونهم أصولًا في أصل خلق نعيم الدنيا غير مسلَّم، وكونهم أكثر تمتعًا [٦/أ/ب] لا يستلزم كونهم أصولًا في أصل خلقه، بل الظاهر أنه لما كان المؤمنون هم أحاسن أفراد الناس يكونون أصولًا في جميع التمتعات، لكن لا للتلذذات النفسانية، بل للتقوى في العبادات الربانية، والتبصر في الإنعامات الرحمانية.

قوله: لقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ﴾ الآية، قلنا: مُعارَض بقوله: ﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية [سورة الأعراف:٣٢].

قوله: "ولأن الآخرة خالصة للمؤمنين، فالدنيا للكافرين".

قلنا: لا يلزم من كون الآخرة خالصة للمؤمنين كون الدنيا خالصة للكافرين؛ لعموم الآيات الدالة على عموم البلوى، ولو سلِّم فلا يلزم كونهم أصولًا في أصل خَلقه، لِمَ لا يجوز أن يكون المؤمنون أصولًا لأصل خلقه للمحنة لا للمنحة، والكافرون أكثر تمتعًا للمنحة، ولو سُلِّم فلا يثبت به المدّعى؛ لأن ما نحن بصدده جميع[(٢)] ما في الأرض لا نعيم الدنيا فقط، وأنه خلق للانتفاع والاعتبار – كما سيجيء[(٣)] – لا للتمتع وحده.

وأما الثاني: وهو أن يكون الخطاب للمؤمنين، فلكونه صرفًا[(٤)] عن مخاطبة الكفار بالتوبيخ إلى ملاطفة المؤمنين بالمنَّة، على ما هو الواقع في [٧/أ/أ] مواضع شتى.

---

(١) ذكر ابن القيم في طريق الهجرتين هذا الأثر (٢٤١/١)، والمناوي في فيض القدير (٣٦٦/٥)، (٧٦٠٣)، وذكر في الفتوحات المكية "أنزل الله في التوراة..، الباب الستون (٤٤٦/١)، ولم أجد بعد البحث من عزاه للنبي ﷺ.

(٢) [ب/ب/٣].

(٣) (ص٢٥).

(٤) سقط من نسخة (ب).

قال صاحب التيسير: أو خطاب للمؤمنين، ووجه نظمها مع ما تقدم عليه أن الله تعالى وبَّخ الكافرين، ثم لاطف المؤمنين، كأنه تعالى قال: هو الذي خلق لكم ما في الأرض وأنتم الأصول في نعيم الدنيا، وأنتم المختصون بنعيم العقبى، لكم في الدنيا بطريق الأصالة، وللكافرين بطريق التبعية، ولكم نعم الآخرة دون الكفار بطريق الخصوصية؛ قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [سورة الأعراف:٣٢].

قوله تعالى: أي في الأصالة ﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [سورة الأعراف:٣٢]، فلا ينالون شربة ماء في الجنة؛ قال تعالى خبرًا عنهم: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1] [سورة الأعراف:٥٠].

أقول: وجه إيراد نعيم العقبى في بيان هذه الآية غير ظاهر؛ إذ ليس فيها إلا ما في الأرض جميعًا، وأنه مخصوص [٧/أ/ب] بالدنيا؛ فإن نعيم الآخرة ليست إلا ما في الجنة زاخرة.

إلا أن يلاحظ كون الاستنفاع بالاعتبار في خلق السماء وتسويتها سبعًا؛ فإن خلقها أيضًا للإنسان بهذا الاعتبار، فاعتبروا يا أولي الأبصار، وكفى فيه لمن له الإدراك خبر: لولاك لما خلقت الأفلاك، أو يكون لملاحظة المقابلة.

وأما الثالث: وهو أن يكون الخطاب للقبيلين معًا، وهو الأحوط، وللمقام أربط؛ فلكونها نعمة عامة تعم المؤمن والكافر، و«هو» مبتدأ، وخبره «الذي خلق»،

واللام في «لكم» على الأصح للسببية متعلق بخلق، وقيل: للملك، وفيه أنه ملك الله لا ملك العباد.

وقيل: للاختصاص، وفيه أنه مشترك بين الثقلين، و«ما في الأرض» مفعول «خلق»، و«جميعًا» حال من «ما في الأرض»، لا من ضمير المخاطب الذي في «لكم»، بدلالة السياق والسباق؛ فإنما هي في تعداد النعم لا المنعم عليهم، مع أن المنَّة في تكثير النعم أكثر وأظهر من المنة في تكثير المنعم عليهم؛ فإن زيادة تنوع الامتنان [٨/أ/أ] ما لأجله فعل الفاعل ليس إلا، فتدبر.

والانتفاع عام على ما اعتبره بعض، وخاص على ما اختاره آخرون.

أما كون الانتفاع عامًّا فلأن ظاهر الآية يدل على العموم، وأنه يكون في الدنيا باستنفاع الإنسان بما في الأرض جميعًا في مصالح الأبدان، إما بوسط أو بغير وسط[2]، وكونه في الأشياء النافعة ظاهر، لا احتياج إلى البيان[3].

---

(١) التيسير في التفسير للنسفي (٣٦/٢).

(٢) [ب/أ/٤].

(٣) ينظر: تفسير البيضاوي (٦٦/١).

وأما في الأشياء الضارة فالأول: مثل الاستنفاع بالعقارب والحيات؛ فإن الإنسان يستنفع بهما حالة انفرادهما بالوسط؛ لكون الحيات مما يغتذي به الظبي، والعقارب مما يغتذي به الدجاج، وأنهما مما يغتذي به الإنسان، والثاني: أيضًا مثل الاستنفاع بالحيات والعقارب؛ فإن الإنسان يستنفع بهما حالة تركبهما مع الغير بغير وسط، كما في ترياق الفاروق[1] بالحيات، وفي معجون العقرب بالعقارب.

وأما كون [٨/أ/ب] الانتفاع خاصًّا فلأن ظاهر الآية وإن دل على العموم، لكن سوقها في مقام المنة، والمنة بالأشياء الحقيرة الشأن وبما لا صلاحية فيه لانتفاع الإنسان؛ لا يليق بالحكيم العليم الجواد المنان، فذلك بمعزل عن محز[2] الاعتبار، والامتنان بقرينة المقام وقضية العقل والوجدان.

ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: "بعضه للانتفاع وبعضه للاعتبار"[3]، وقال بعض المحققين: بعضه مظهر الجمال وبعضه مظهر الجلال؛ فالأول للانتفاع، والثاني للامتناع.

فإذن لا يكون الاستنفاع إلا بالأشياء النافعة التي في حيز الاعتبار ومعرض الانتفاع، إما في الدنيا أو في الدين؛ أما الأول: فكالاستنفاع بالملابس والمساكن والمآكل والمشارب والمناكح والمراكب وغير ذلك، مما يدور عليه المعاش، وينوط به جهة الانتعاش.

وأما الثاني: فكالاستنفاع بالاستدلال [٩/أ/أ] من الآثار العجيبة المتقنة والصنائع الغريبة المتينة إلى وجود الصانع العليم، ومن حدوثها وتغيرها إلى قدم صانعها العظيم واختيار فاعلها الحكيم، وبالاعتبار من تقلبات الدنيا وغَفَلاتها وغَلَباتها إلى عقبات العقبى وعقوباتها، هذا ولكنه يجوز أن يكون عموم الانتفاع بالنوافع والضوار أيضًا لأجل الاعتبار، بالتعرف من المنافع والمضار العاجلتين بما يلائمها من اللذات والآلام الآجلتين، مثل أن يتعرف بالحيوانات المؤذية والحشرات الخبيثة والروائح الكريهة عقوبات الجحيم، وبأضدادها ومقابلاتها لذات النعيم؛ فيتوجه بالأعمال الصالحة المقرونة بإخلاص قلب سليم، إلى باب ربه الكريم، وجناب الرحمن الرحيم، ليفوز بالجنات التي وعد بها المتقون وفيها نعيم مقيم.

وليكن على ذُكرٍ منك ما أذكره، وليُصْغ قلبك ما أذاكره من أنه قد اختلف السلف والخلف في أن[4] الأصل ماذا في الأفعال الاختيارية [٩/أ/ب] والأعيان المنتفع بها بالنسبة إلى المكلفين: أحظر أم إباحة أم توقف؟

---

(١) الترياق أجلّ الأدوية المركبة وأفضلها لكثرة منافعه وخصوصًا للسموم من النواهش كالحيات والعقارب والكلب. ينظر: القانون في الطب لابن سينا (٣٠/٦).

(٢) الحز: القطع. ينظر: القاموس المحيط (٥٠٨/١).

(٣) لم ينسبه الواحدي لابن عباسﷺ. ينظر: البسيط (٢٩٥/٢).

(٤) [ب/ب/٤].

لا هذا ولا ذاك؛ فالأشـــعرية قالوا: لا حظر ولا إباحة قبل ورود الشـــرع، فإن الحظر لا يكون إلا بالنهي، والوجوب لا يكون إلا بالأمر، والإباحة لا يكون إلا بالرخصة، وقد انعدم ذلك كله قبل ورود الشرع(١).

وعند جماعة من فقهاء أهل الحديث ومتكلميهم، وبعض من المعتزلة، وكل الإمامية من الشـــيعة: أن الأصـــل الحظر؛ لأنه تناول في ملك الغير، والتصـــرف في ملك الغير بدون إذنه محظور(٢)، وفيه أنه تناول في ملك الغير وقد أذن، لإيذان هذه الآية بإذنه تعالى.

وعند بعض آخر من متكلمي المعتزلة والفقهاء العراقيين، وأبي الحســن الكرخي، وأبي بكر الرازي: أن الأصـل الإباحة، وإليه مال الإمام الرازي(٣) كما ذكر في محصوله(٤)، والقاضي البيضاوي في تفسير هذه الآية(٥)، لاقتضائها إياها، ولقوله تعالى: ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [ســورة البقرة:٢٢]، [١٠/أ/أ] ولقوله تعالى عز قوله وعلا: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [سورة الجاثية:١٣].

ولأن الأشـياء لما خُلقت للناس كان مطلقًا لهم الانتفاع بها، إلا أن يَرِد الدليل [الســمعي](٦) بحظرها، فما ورد الســمع بحظره صـار محظورًا، وما لم يرد الســمع بحظره بقي على أصـل الإباحة، ولأنها خلقت منتفعًا بها، والخالق لا ينتفع بها، فلو لم ينتفع الخلق لم يكن في إيجادها حكمة ومصلحة،(٧) فيكون عبثًا [وما خلق الله شيئًا عبثًا](٨)، كذا قيل، وفيه أن من خَلْقِها منتفعًا بها لا يلزم إباحتها؛ لجواز أن يكون الانتفاع بها مشروطًا بشيء من رخص الشرع.

وقال جمهور أهل السنة والجماعة: ما عرف أن له عاقبة حميدة ثبت حسنه، وما عرف أن ليس له عاقبة حميدة ثبت قبحه؛ فالتحســين والتقبيح إنما هو من الشــارع؛ فما حَسَّـنَه وأَمَر به واجب، وما قَبَّحَه ونهى عنه محظور، وما أطلق فيه الإذن مباح، وما لا وقوف للعقل عليه لا [١٠/أ/ب] معنى للقطع فيه بشـــيء من الحظر أو الوجوب أو الإباحة؛ إذ يمكن أن يكون مما له عاقبة حميدة أو خلافه(٩).

---

(١) التيسير في التفسير للنسفي (٣٧/٢) وهذا مذهب مذهب أكثر المالكية. ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢٣/١)، المحرر الوجيز (١٠٠/١).

(٢) التيسير في التفسير للنسفي (٣٧/٢)، موسوعة القواعد الفقهية (١٠٠١/٨)، وهذا القول منسوب لأبي حنيفة. ينظر: عمدة الناظر (٨٩/١).

(٣) مدارك التنزيل للنسفي (٧٦/١).

(٤) المحصول (٩٧/٦).

(٥) تفسير البيضاوي (٦٦/١).

(٦) زيادة من نسخة (ب).

(٧) ينظر: التيسير في التفسير للنسفي (٣٧/٢)، وهذا مذهب الشافعية وأصحاب أبي حنيفة. ينظر: عمدة الناظر (٨٩/١).

(٨) سقط من (ب).

(٩) ينظر: التيسير في التفسير للنسفي (٣٧/٢)، روضة الناظر (١٣٠/١).

والفرق بين الأشعرية وجمهور أهل السنة: أن الأشعرية متوقفون، لا حكم عندهم أصلًا، والجمهور غير متوقفين في كون الحكم، لكنهم يقولون: الحكم غير ظاهر، وما يظهر إلا بورود السمع، وأما الأعيان فما يتصور فيه الأكل والشـــرب، إما غذاء أو ما له دخل فيه، أو دواء[١] أو ما له دخل فيه، ولا معرفة للحس والعقل، ولا يُجَوِّز العقلُ إقدامَ صاحبه بنفسه[٢] للتجربة لخوف الهلاك؛ فلابد من ورود السمع[٣].

إذا تحققت ذلك فاعلم أنه قد اسـتدل بهذه الآية من قال بأن الأصـل في الأشـياء الإباحة: بأن منطوق نظم الآية أنه تعالى خلق للإنسـان جميع ما في الأرض، وأنه وإن كان مقابلة الكل للكل في الظاهر، لكنه لما كان نسـبة خلقه تعالى إلى كل مخلوق، سواء من غير فرق بين واحد [١١/أ/أ] وواحد، ونسبة فضله على العباد لا لعوض ولا لغرض، سـواسـية من غير فصـل بين عبدٍ وعبد؛ تسـتلزم أن يكون مقابلة كل واحد لكل واحد في الحقيقة، فلكل أحد من الإنسان أن ينتفع بكل واحد مما في الأرض، إلا أن يرد من الشارع منع لبعض دون بعض، ففي هذه الآية رخصة شرعية للإباحة اقتضاءً والتزامًا، وإن لم يكن عبارة ومنطوقًا.

فما قاله بعض المحققين[٤] في تفســـير هذه الآية يعني "الحكمة والمصـــلحة في خلقه انتفاعُكم، وهذا لا ينافي التوقف في الانتفاع به على رخصة الشرع"[٥] اتباعًا لبعض المفسرين، مثل القشيري[٦] والكواشي[٧]، إنما هو نظر إلى منطوق الآية، وإلا فكونها مقتضيةً للرخصة على الوجه المذكور والنهج المزبور غير مستور، وإن كان غير مسطور.

وما قضى به القاضي من قوله: "فإنه يدل على أن الكل للكل، لا كل واحد لكل واحد"[٨]؛ إن كان ناظرًا إلى المنطوق فقط فليس له جاحد، وإن كان ناظرًا إلى المقتضى فقضاؤه غير ممضي، وحكمه غير [١١/أ/ب] مرضي.

هذا والحق أن اللام إذا كان للسببية دون الملك والاختصاص؛ لا يقطع بكون الأصل هو الإباحة، فتأمل، ولا يخفى ما بين ادعائه أولًا كون الآية مقتضـــيًا للإباحة، وذهابه ثانيًا إلى كونه من قبيل مقابلة الجمع بالجمع من التدافع؛ فإن المباح لا يكون إلا بالنظر إلى كل أحد، وما بين قوله: "وهو يقتضـي إباحة الأشـياء النافعة"[٩]، وبين

---

(١) زيادة من نسخة (ب).

(٢) [ب/أ/٥].

(٣) ينظر: التيسير في التفسير للنسفي (٢/ ٣٩).

(٤) في هامش النسخ كتب: أعني كمال باشا سادة رحمه الله.

(٥) تفسير ابن كمال باشا (١/١٣١).

(٦) تفسير القشيري (١/٧٤).

(٧) موفق الدين، أحمد بن يوسف الكواشي، له تفسيران تبصرة المتذكر، والتلخيص في التفسير القرآن العزيز. ينظر: الأعلام للزركلي (١/٢٧٤).

(٨) تفسير البيضاوي (١/٦٦).

(٩) المصدر السابق.

قوله: "باستنفاعكم في مصالح أبدانكم بوسط أو بغير وسط"[١]، وقوله: "وما يعم[٢]ما في الأرض لا الأرض"[٣]من التمانع؛ لأن التقييد بالنافعة يفيد تخصيص الانتفاع ببعض ما في الأرض، وتقسيم الاستنفاع إلى ما هو بوسط أو بغير وسط، والتصريح بتعميم ما في الأرض يفيد أن تعميم الانتفاع بما في الأرض جميعًا، وما هو إلا خلط المذهبين، ولا يستر عليك أن قوله: فإنه يدل على أن الكل للكل، إلى آخره؛ دليل لقوله: لا يمنع اختصاص بعضها ببعض لأسباب [١٢/أ/أ] عارضة، لا أنه دليل لقوله: "يقتضي إباحة الأشياء النافعة"[٤]، حتى لا ينطبق الدليل على المدعي كما تُوُهِّمَ.

وأما قوله: "وما يعم ما في الأرض لا الأرض"[٥]، ففيه بحث فلأنه يحتمل أن يراد بما في الأرض: الأرض بما فيها، تجوزًا.

أما أولًا: فبالتبعية لكون الأرض تابعة لما فيها في بعض العقود الشرعية، كما إذا قال: بعت النخل الفلاني الواقع بمكان كذا، يدخل في العقد: الأرض النابت عليها الأشجار، تبعًا، وفيه أن بين ما فيه وما عليه، وبين ما ينتفع فيه بالنقل وما ينتفع به بالاستقرار بَيْنٌ بَيِّن، ألا يرى أنه إذا قال: بعت ما في الدار لا يدخل فيه الدار.

وأما ثانيًا: فبالمتبوعية، كما يراد من بني آدم: آدم وبنوه، في قوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [سورة الإسراء: ٧٠].

وفيه أن هذا مما فيه التلازم دون ذاك؛ فإن كل واحد من تكريم آدم وتكريم بنيه يستلزم الآخر، وكل واحد من خلق الأرض، وخلق ما فيه للانتفاع [١٢/أ/ب] لا يستلزم الآخر.

وأما ثالثًا: فلأنه لمَ لا يجوز أن يراد بما في الأرض ما هو خارج عنها، وفيه أنه تعسف ظاهر، والظاهر من قوله: إذا أريد به جهة السفل: أن يكون إرادة السفل من لفظ الأرض تجوزًا، لكن المتفهم من كتب اللغة أن لا يكون تجوزًا، بل يكون لفظ الأرض مشتركًا، قال في الصحاح: "وكل ما سفل فهو أرض"[٦]، و[قال][٧] في القاموس – في أثناء بيان معاني لفظ الأرض: "وكل ما سفل"[٨].

هذا إلا أن يكون ما في كتب اللغة بيان المعاني المستعمل فيها، حقيقة كانت أو مجازًا، [ثم أقول: لا يستر عليك أن من يقول بدلالة التكلم على الأرض أيضًا كما يدل على ما في الأرض على ما نقله

---

(١) المصدر السابق.

(٢) [ب/ب/٥]

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) ينظر: الصحاح، مادة (أرض) (٣/١٠٦٤).

(٧) زيادة من نسخة (ب).

(٨) فصل الهمزة، القاموس المحيط (١/٨٢٠).

بعض من ثقات المحدثين، إنما يقول بها على القلب بأن يكون في النظم تقديم وتأخير، فيقدم الأرض ويؤخر ما فيها اتساقًا للمعنى، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ [سورة الأنفال:١٢]، أي: اضربوا الأعناق فما فوقها، وظني أن الباعث على جملة «على القلب»: أن يدل على مخلوقية الأرض لنا أيضًا، لعموم الانتفاع؛ سدًّا لثلمة مخيلة النقصان، والمقام مقام الامتنان بالنعم التامة العظيمة الشأن؛ فإن إعطاء الكريم بالظرف والمظروف أتم من إعطاء المظروف بغير ظرفه، سيما إذا كان الظرف عظيم المنافع، فعلى هذا لا يستقيم ما أورده القاضي تابعًا لصاحب الكشاف ردًّا على من قال: بالقلب؛ فإنه ما ادعى دلالة لفظه «ما في الأرض» على ما في الأرض والأرض، للتعمم، بل ادعى دلالة النظم على القلب على الأرض وما فيها، فليس كلامهم على قانون النظر ودأب الأدب في مقابلة كلامه، وما قيل من أن حمل النظم على القلب لا يجوز؛ لأنه تعالى بيَّن في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا﴾ [سورة البقرة:٢٢].

خَلْقَ[١] الأرض لنا، وذلك نعمة الوجود وهذه نعمة البقاء، فإذا حمل النظم على القلب لزم التكرار، والتأسيس أولى من التأكيد[٢]؛ فمدفوع بأنه تعالى ما بيَّن في تلك الآية إلا كون الأرض فراشًا لنا، لا أنه خلق نفس الأرض لنا، بأن ننتفع بها بأي وجه نشاء، ولو سُلِّم فلا نسلِّم أنه تكرار، إن هو إلا تذكار على أنه كما ذكر جعل الأرض فراشًا كذلك ذكر إخراج الثمرات رزقًا لنا، وأن الثمرات مما في الأرض؛ فاللازم مشترك الإلزام، والأظهر أن يكون بيان خلق الأرض بما فيها إن صح القلب في هذه الآية بالنسبة إلى ما بيَّنَه تعالى في تلك الآية كالتعميم بعد التخصيص، فإن خلق الأرض لعموم الانتفاع بها عامٌّ بالنسبة إلى جعلها فراشًا، كما أن خلق ما في الأرض جميعًا عامٌّ بالنسبة إلى إخراج الثمرات رزقًا لنا، فتأمل][٣].

وإذا كان المراد بالأرض جهات السفل كما يراد بالسماء جهات العلو؛ لا يتجه التحديد إلا بالتقدير، كما يكون الأيام يومئذ كذلك بالتقدير والتمثيل.

وقيل: إن في تحديد الجهات يكفي وجود جسم واحد كرويّ، وهو العرش، أقول فيه: هو من خلط المذهبين؛ لأن الكروية مذهب الفلاسفة[٤]، وعندهم جميع الأفلاك التسعة قديمة، لا سبق لأحدها [١٣/أ/أ] على البواقي، ووجود العرش والكرسي قبل وجود السموات على شكل التسطيح مذهب الملليين[٥].

قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة البقرة:٢٩].

---

(١) [ب/أ/٦].

(٢) التأسيس هو إفادة الجملة معنى مستقلًا، وهذا هو الأصل في الكلام والقاعدة: أن الكلام متى دار بين التأسيس والتأكيد قدم التأسيس. ينظر: الإحكام في أصول الأحكام (٢١٧/١).

(٣) من هامش (أ) أراجع نسخه ب

(٤) مفاتيح الغيب (٥/١٩).

(٥) الملليين: أصحاب الملل، والملة بمعنى الدين. ينظر: التعريفات (١٤١/١).

أي قصد إليها، من الاستواء بمعنى القصد المستوي، من قولهم: استوى إليه كالسهم المرسل، إذا قصده قصدًا مستويًا من غير أن يلوي على شيء[١]، أي: من غير أن يميل إلى شيء، ومنه قول أنس رضي الله عنه يوم أُحُد: "فولوا منهزمين لا يلوون على شيء"[٢].

لا من الاستواء بمعنى الاعتدال والاستقامة من قولهم: استوى العود، إذا اعتدل واستقام[٣]؛ فإن الاستواء في الأصل طلب السواء؛ لكون باب الافتعال للاكتساب والاعتمال، وإطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية الأجزاء، ولا يمكن حمله عليه هنا لاختصاصه بالأجسام[٤]، بل الصحيح أن يحمل على الاستواء بمعنى القصد المستوي، بأنه شبَّه قصده تعالى إلى القصد المستوي الجسماني، واستُعير له ما كان مستعملًا [١٣/أ/ب] في المشبه به استعارة مصرحة تبعية، وقيل: أي استولى، من الاستواء بمعنى الاستيلاء[٥]، قال الشاعر:

قد استوى بشرٌ على العراق من غير سيف ودم مهراق[٦]

والأول أولى، لكونه أوفق بالأصل؛ فإن القصد المستوي وطلب السواء متوافقان، وبالصلة التي هي إلى[٧]، وبترتب التسوية عليه بالفاء[٨] في قوله: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ [سورة البقرة:٢٩].

أي: عدَّلهُن وخلقهن مصونة عن العوج والفطور[٩].

والمراد بالسماء هي الأجرام العلوية[١٠]، بدلالة إرجاع ضمير الجمع إليها، أو جهات العلو؛ لأنها تستعمل فيها أيضًا، قال في الصحاح: "والسماء كل ما علاك فأظلك"[١١].

(١) ينظر: مدارك التنزيل للنسفي (٧٦/١)، الكشاف (١٥٢/١).

(٢) بحر العلوم، السمرقندي (٤٩/٢).

(٣) ينظر: مدارك التنزيل للنسفي (٧٦/١)، الكشاف (١٥٢/١).

(٤) ينظر: تفسير ابن كمال باشا (١٣١/٢).

(٥) ناقش هذا القول ورد عليه ابن تيمية وابن عثيمين. ينظر: مجموع الفتاوى (١٤٤/٥)، شرح العقيدة الواسطية (٣٧٨/١).

(٦) البيت منسوب للأخطل في تاج العروس (٣٣١/٣٨) مادة: (سوى)، وعزاه المرزوقي في الأزمنة والأمكنة (١/ ٣٦)، للبعيث، وهو مذكور دون نسبة في الصحاح مادة (سوى)، (١٥٨/١)، وقال ابن القيم كما في مختصر الصواعق المرسلة (ص٣٧٩)، "وهو غير معروف في شيء من دواوين العرب وأشعارهم التي يرجع إليها".

(٧) [ب/ب/٦].

(٨) تفسير البيضاوي (٦٦/١).

(٩) ينظر: مدارك التنزيل للنسفي (٧٧/١).

(١٠) تفسير البيضاوي (٦٦/١).

(١١) الصحاح، الجوهري، مادة (سما)، (٢٣٨٢/٦).

وقال في القاموس: السماء معروف، "ويذكر، وسقف كل شيء"[١]، والمقام مقام تفضيل خلق السماء بدلالة (ثم)[٢] الدالة على التراخي الرتبي، وإرادة جهة الفوق مؤذنة بالتفضيل؛ إذ التعبير به تعظيم لها، مع أن ملاحظة الفوقية في هذا الجانب يقتضي ضدها في مقابلها [١٤/أ/أ] لأجل المقابلة.

والضمير المستكن في «استوى» يعود إلى الله، وقيل: إلى أمره وتقديره، وفيه أنه خلاف الظاهر لا يرتكب[٣] إليه إلا لدى الضرورة، ولا ضرورة هنا لكون الله مذكورًا ظاهرًا، ولا خلل في المعنى إذا رجع إليه الضمير، وقيل: إلى الدخان، وفيه أنه مع كونه دعوى بلا دليل يرده قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ [سورة فصلت:١١].

والضمير البارز، أي: هن، إذا أريد بالسماء الأجرام العلوية؛ راجع إليها، إما لأنه جمع سماة، أو جمع سمأة، على القولين، ولكن جمعيته غير ثابت، وإما لأنها في معنى الجنس إلا أن الجنسية غير كافية في عود ضمير الجمع.

وإذا لم يرد بها الأجرام العلوية، بل أريد بها جهات العلو؛ فضمير مبهم يفسره «سبع سموات» بيانًا له، [٤]كقوله: نعم رجلًا وربه رجلًا، ويا له مرامًا، وفيه أنه وإن كان فيه من الإبهام والتفسير والتفخيم والتشويق والتمكن في النفس ما لا يخفى [١٤/أ/ب]، والمقام مقام ذلك؛ لكنها ليست من المواضع التي فسِّر فيها الضمير المبهم، وأنها محصورة في سبعة ليست هي منها، كما ذكر النحاة، والقياس لا يجري في أمثالها، مع أنه إذا لم يرجع الضمير إلى السماء لم يرتبط بما قبلها ارتباطًا كليًّا؛ لكونهما حينئذ جملتين مخبرتين إخبارين، أحدهما الاستواء إلى السماء، والآخر تسوية سبع سموات، والظاهر أن يكون الذي استوى إليه هو المستوي.

و«سمواتٍ» نصب على خمسة أوجه[٥].

أولهما: أنه بدل من الضمير المنصوب بـ«سواهن» العائد إلى السماء[٦]، كقولك: أخوك مررت به زيدٍ.

وثانيهما: أنه بدل من الضمير المبهم المفسر، وقد عرفت ما فيه.

وثالثها: ما قاله أبو البقاء[٧] من أنه مفعول به لقوله: سوَّى، على[٨] الحذف والإيصال؛ لأن أصل «فسوَّاهن»: فسوى منهن سبع سموات، كقوله: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا﴾ [سورة الأعراف:١٥٥]، أي: من قومه، وفيه أنه ليس من الأفعال المتعدية لمفعولين، أحدهما منصوب بنزع [١٥/أ/أ] الخافض لكونها محصورة في أَمَر واختار

(١) القاموس المحيط، فصل السين، (١٦٧٢/١).

(٢) ذكر القرطبي أن "ثم" هنا لترتيب الإخبار لا لترتيب الأمر نفسه. ينظر: تفسير القرطبي (٢٥٤/١).

(٣) أي: لا يصار إليه إلَّا لضرورة.

(٤) الكشاف (١٥٢/١)، تفسير ابن كمال باشا (١٣٣/١).

(٥) إعراب القرآن لابن سيدة (١١٠/١).

(٦) إعراب القرآن للنحاس (٢٠٦/١).

(٧) إعراب القرآن، العكبري (٤٥/١).

(٨) [ب/أ/٧].

وأخواتهما، وأنه يقتضي أن يكون ثمة سموات كثيرة سَوَّى منها سبعًا، وذلك خلاف ما عليه الملّيون[١] باستقراء الروايات، وخلاف ما عليه الحكماء لحصرهم في تسعة، وإن جاز عقلًا لانتفاء الدليل القاطع القائم على نفي الزائد، كما بيّن في موضعه[٢].

ورابعها: أنه مفعول ثانٍ لسَوَّى؛ فإن «سَوَّى» يتعدى باثنين لكونه بمعنى: صَيَّر، وفيه أن مجيئه بمعنى صَيَّر غير ثابت.

وخامسها: ما هو المعزيّ إلى الأخفش[٣] من كونه حالًا من مفعول سَوَّى، وفيه شيئان: الأول: أنه حال مقدرة، وهو خلاف الأصل، وفيه أنه كثير في الكلام، سيما في كلام الملك العلام، والثاني: أنها مؤولة بالمشتق، وأنه خلاف الأصل.

ثم إن لفظة «ثم» هاهنا إما للتراخي الزماني أو التراخي الرتبي؛ لكونه دائرًا على اختلاف أساطين المجتهدين من السلف الصالح والتابعين [١٥/أ/ب] في أن المقدم ماذا خلق السماء؟ أم خلق الأرض؟

فعلى ما نقله الثعلبي في تفسيره[٤]: قال ابن عباس[٥] ومجاهد[٦] والحسن البصري [في تفسيره][٧] – رضوان الله عليهم أجمعين – بتقدم خلق الأرض، وقال مجاهد بعكسه.

وعلى ما نقله النسفي في تفسير التيسير[٨]: قال ابن عباسﷺ، ومجاهد بالأول، وقال قتادة والسدي بالثاني؛ فإن الثعلبي نقل ما صورته هذا.

وأيهما أسبق في الخلق الأرض أم السماء؟ فيه قولان؛ أحدهما الأرض، قاله ابن عباسﷺ والحسن ومجاهد، وثانيهما السماء، قاله مقاتل[٩].

واختلفوا في كيفية تكميل خلق الأرض وما فيها.

---

(١) المليّون: أصحاب الملل، والملة بمعنى الدين. ينظر: التعريفات (١٤١/١).

(٢) نسب البيضاوي هذا القول إلى أصحاب الأرصاد (٨٠/١).

(٣) نسب القرطبي هذا القول للأخفش (٢٦٠/١).

(٤) تفسير الثعلبي ولم أجده عن الحسن البصري (١٢٨/١٠).

(٥) أخرجه ابن جرير ٤٦٤/١، موسوعة التفسير بالمأثور (٢٠١/٢).

(٦) أخرجه عبد الرزاق (١٦٢/١)، وابن جرير (٤٦٣/١)، وابن أبي حاتم (٧٤/١)، وأبو الشيخ في العظمة (١٠٤٠/٣)، وعزاه السيوطي لعبد بن حميد (٢٣٣/١٥)، موسوعة التفسير بالمأثور (١٩٩/٢).

(٧) سقط من نسخة (ب).

(٨) التيسير في التفسير للنسفي (٣٨/٢).

(٩) تفسير مقاتل (٩٦/١)، موسوعة التفسير بالمأثور (١٩٩/٢).

قال ابن عباسﷺ: بدأ بخلق الأرض في يومين، ثم خلق السموات في يومين، ثم دحا الأرض وثبتها بالجبال وقَدَّر فيها أقواتها في يومين[1].

وقال الحسن ومجاهد: جمع خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام متوالية، ثم خلق السماء في يومين. أقول: ما قاله الحسن ومجاهد في كيفية التكميل هو الموافق [١٦/أ/أ] لنظم النص القاطع الواقع في سورة حم السجدة[2]، وهو قوله عز قوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝١١ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [سورة فصلت:٩-١٢][3]، وأن النسفي[4] نقل ما صورته هذا.

ودلت الآية على خلق الأرض قبل السماء، وفيه أقاويل ثلاثة:

قيل: خلقهما معًا بدليل قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [سورة فصلت:١١].

وقال قتادة والسدي[5]: خلق الله السماء أولًا ثم الأرض، بدليل قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ [سورة النازعات:٣٠]، وهذا أعجب في القدرة، وهو إظهار السقف قبل الأساس.

وأما قوله: {ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [سورة فصلت:١١]، فـ«ثم» لترتيب الإخبار عنه لا لترتيب الوجود، كما في قوله: ﴿خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة آل عمران:٥٩].

وقال ابن عباسﷺ، ومجاهد: خلق الأرض أولًا ثم خلق السماء [١٦/أ/ب] بدليل هذه الآية: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [سورة فصلت:١١][6].

وأما قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ [سورة النازعات:٣٠]، فمعناه: مع ذلك، كما في قوله: ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [سورة الحجرات:١١]، أي: مع الإيمان، ولأنه قال بعد ذلك: ﴿دَحَاهَا﴾ ولم يقل: خلقها،

(١) أخرجه ابن جرير (٤٦٢/١)، وابن أبي حاتم (٧٤/١)، موقوفا على السدي، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٤٧/٢)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر (٢٣٤/١٥)، (٦٨٥)، موسوعة التفسير بالمأثور (٢٠٠/٢).

(٢) أي: السورة التي في السجدة من الحواميم.

(٣) [ب/ب /٧].

(٤) مدارك التنزيل للنسفي (٢٢٨/٣).

(٥) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، ونسب القول هنا إلى الثلاثة قتادة والسدي ومقاتل (٣٨٤/١).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة فصلت، (١٨١٤/٤).

ودحاها: بسطها[1]، وبه نقول؛ فإنه خلق الأرض ثم السموات ثم بسط الأرضين، وهو أقرب إلى الحكمة؛ فإنه تمهيد الأساس، ثم رفع البناء، ثم بسط الأساس[2].

أقول: فعلى قول من قال بقبلية خلق الأرض يكون «ثم» في هذه الآية على أصل وضعها من التراخي الزماني؛ لما بين الخلقين من أعمال أُخَر: جَعْلِ الجبال رواسي، والبركةِ، وتقديرِ الأقوات؛ كما ذُكِر مما وقع في سورة حم السجدة، وما قيل أنه لم يحدث بين الخلقين شيئًا مما يقطع بخلافه النص.

وما في سورة «والنازعات» من قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠﴾؛ فالوجه فيه: أن «بعد» إما بمعنى: مع، كما ذكره النسفي روايةً عن ابن عباسٍ ﷺ [١٧/أ/أ] ومجاهدٍ[3].

أو أن ما قبل لفظة الأرض ما ينصبُه مقدّر من نحو: فتدبر أو تذكر أو تعرَّف أو اذكر، على أن يكون ما بعدها جملة مستأنفة تعليلًا له، أو جوابًا للسؤال المقَدَّر؛ فإنه لما كانت الأرض في الشدة دون السماء، يحسن أن يقال: انظروا إلى أنه كيف الحال أأنتم أشد بناءً أم السماء، وبعد السماء متنزلًا منها تذكروا؛ والأرض فإنها وإن كانت أنزل من السماء وأدنى في الشدة، إلا أنه أشد منكم، وأنه بعدما خلقها شديدة غير مدحوَّةٍ دحاها[4]، أخرج ماءها ومرعاها، والجبال أرساها؛ فمن يقدر على إبداء هذين الشيئين الشديدين غاية الشدة وإبداعهما على هذا النسق العجيب، والنمط الغريب، هَلَّا يقدر على إعادتكم؟!

وأما ما قيل[5]: في التوفيق من أن خلق الأرض مقدَّم على خلق السماء، وخلق السماء على دحو الأرض؛ ففيه بحث:

أما أولًا: فلأن خلق ما في [١٧/أ/ب] الأرض جميعًا بمقتضى هذه الآية كان مقدمًا على خلق السماء، ولا يمكن تأخر الدحو عن خلق السماء؛ فإن خلق ما في الأرض جميعًا لا يتحقق إلا بعد الدحو، وفيه أن مقتضى الآية ليس تقدم خلق ما في الأرض على خلق السماء، وإنما هو تقدم خلق ما في الأرض على تسوية السماء، بل مقتضى الآية تقدم السماء على خلق ما في الأرض، بدلالة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ [سورة البقرة:٢٩].

وفيه: أن خلقها ليس إلا بالتسوية؛ لعدم ما يدل على إيجادها قبلُ وتسويتها بعدُ من الآيات والروايات، وانتفاء من قال به، بخلاف خلق الأرض ودحوها.

---

(١) أخرجه ابن جرير عن مجاهد من طريق خصيف (٩٤/٢٤)، ومن طريق الأعمش أيضا، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد (٢٣٣/١٥)، وابن المنذر، عن قتادة، موسوعة التفسير بالمأثور (٦٨٤/٢٢).

(٢) ينظر: الطبري (٩٤/٢٤)، وفي موسوعة التفسير بالمأثور (٦٨٤/٢٢)، ذكره عن البخاري (١٢٧/٦)، وعزاه عن السيوطي لعبد بن حميد وابن أبي حاتم (٢٣٣/١٥).

(٣) التيسير في التفسير للنسفي (٣٧/٢).

(٤) [ب/أ/٨].

(٥) ينظر: (ص٣٤).

أقول: اللهم إلا أن يقال أن المستفاد مما ذكرناه سابقًا من قول ابن عباس ومجاهد ﷺ أن يكون خلق جرم الأرض مقدمًا على خلق جرم السماء[١]، ودحو الأرض على تسوية السماء، والإشارة في قوله تعالى: ﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ إلى ذات السماء فقط، لا إلى وصفها من التسوية[٢]، ولا إلى السماء المقرونة بأوصافها، كيف لا وإن قوله تعالى: ﴿وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا﴾ [سورة النازعات:٢٩]، يدل على ذلك؛ فإن الليل إنما هو ظل الأرض، فإن لم يكن ذو الظل موجودًا لا يمكن إغطاش الظل وإظلامه.

وبهذا يظهر فساد ما قاله القاضي[٣] ردًّا على الراغب الأصفهاني[٤] من أن تقدير الناصب قبل لفظة الأرض في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ خلاف الظاهر؛ فإن الآية السابقة لما دلت عليه دلالة بينة ظاهرة كيف يكون خلاف الظاهر؟! فقوله: خلاف الظاهر؛ خلاف الظاهر.

وأما ثانيًا: فلأن الأرض جسم عظيم يمتنع تدحيتها بعد الخلق، وفيه أن قوله: "يمتنع تدحيتها"؛ مسلّم إن كان بالنظر إلى قدرتنا، ولا يجدي نفعًا وممنوع إن كان بالنظر إليه تعالى؛ فإنه لا يلزم من عجز عقولنا [١٨/أ/أ] عن معرفة كيفية التدحية أن يكون ممتنعًا في نفس الأمر هنا.

وأما على قول من قال بقبلية[٥] خلق السماء يكون «ثم» في هذه الآية للتراخي الرتبي، دلالةً على تفاوت ما بين الخلقين، وفضل خلق السماء على خلق الأرض.

كقوله تعالى في سورة البلد: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [سورة البلد:١٧]، فإن تراخي الإيمان عن فك الرقبة والإطعام إنما هو بالرتبة؛ لأن الضمير المستكن في «كان» إلى ما يرجع إليه ضمير ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾ [سورة البلد:١١]، وهو الإنسان الكافر.

وقوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٌ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾ [سورة البلد:١٣-١٦]، تفسير للعقبة، والترتيب الظاهري يقتضي تقديم الإيمان عليهما؛ لأن وجودهما بدون الإيمان كلا وجودٍ؛ لعدم اعتبارهما بدون الإيمان شرعًا، لكنه تأخر للتراخي في الرتبة[٦].

وعلى هذا القول والتوجيه يبقى [١٨/أ/ب] بعد ذلك دحيها على أصل معناه، إذ ليس إذًا ما ينفيه.

وما أورد الفاضل الكامل المولى[٧] أكمل ظنًّا منه أنه أتم التوفيق الحقيق وأكمل، دافعًا لتوهم التدافع بين ظواهر الآيات والخبر، وليس ذلك كذلك وإن لم يكن له الخبر من أن أقول: يمكن أن يؤخذ مما ذكره المصنف هاهنا، يعني صاحب الكشاف، ومما روي عن الحسن[٨]، ومما نقله في سورة حم السجدة، مركب لعله يكون دافعًا لما يرد على

---

(١) ينظر الكشاف (١/١٥٣).

(٢) [لا إلى السماء المقرونة] تكرار في نسخة (أ).

(٣) تفسير البيضاوي (١/٦٦).

(٤) المفردات في غريب القرآن (١/١٣٦).

(٥) [ب/ب/٨].

(٦) فتوح الغيب حاشية الطيبي على الكشاف (٢/٤٢٣).

(٧) ينظر: ص٢٠.

(٨) سبق تخريجه ص٣٤.

الآيتين من توهم التدافع، والله أعلم، وهو أن يقال: خلق الله العرش المجيد على الماء، وهو المراد بجهة العلو، التي فسر المصنف السماء بها، فيكون هو المحدد للجهات، فأخرج من الماء دخانًا فارتفع فوق، ويبس الماء وجعله أرضًا واحدة، ولعلها التي عبر عنها الحسن بالغمر، فدحاها وجعلها أرضين، ثم قصد قصدًا لم يلوِ في تضاعيفه إلى خلق شيء آخر إلى جهة العلو الذي هو العرش فخلق من الدخان السماء، فقضاهن سبعًا، والضمير مبهم، فيكون السماء المتقدم على خلق الأرض ودحوها هو العرش، وهو محل قوله: ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴾ [سورة النازعات:٢٧]، إلى قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [سورة النازعات:٣٠].

وأما قوله: ﴿وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ [سورة النازعات:٢٩]، فلخلوهما عن مرتب[١] لا يحتاج إلى معذرة، والسماء المؤخر من خلق الأرض وهي المخلوقة من الدخان، وهي سبع سموات، فحاصله مختل ومحصوله معتل.

أما أولًا: فلأنه إذا كان مجملًا لقوله: ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴾ على ما صرح به؛ يجب أن يكون المراد بالسماء فيهما هو العرش، وأنه لا يستقيم؛ لأن البناء ورفع السمك والتسوية في قوله: ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ٢٧﴾ إنما هو للعرش، لرجوع الضمير البارز في {بناها} و{سمكها} و{سواها} للسماء المراد بها العرش، والتسوية في {فسواهن} ليس له؛ فإن الضمير[٢] البارز فيه ليس راجعًا إلى السماء المراد بها العرش، بل هو ضمير مبهم يفسره سبع سموات[٣]، كما هو صرح به بقوله: والضمير مبهم؛ فلزم عدم المطابقة بين المجمل والمفصل.

وأما ثانيًا: فلأن المراد إذا كان بالسماء هو العرش في قوله: ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ٢٧﴾؛ يلزم أن لا يكون خلق العرش مقدمًا على خلق السماء والأرض، وهو مع كونه خلاف ما عليه الجمهور[٤]؛ خلاف مطلوبه.

أما الملازمة فلأن قوله: ﴿وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ [سورة النازعات:٢٩].

مما يدل على كون الأرض والشمس حينئذ موجودتين؛ إذ الليل إنما هو ظل الأرض، والضحى ليس إلا وقت ارتفاع الشمس قدرًا من وسط السماء، فإذا كان بناء العرش ورفع سمكه وتسويته مع إغطاش الليل وإخراج الضحى بدلالة واو الجمع؛ لزم تقدم وجود الأرض والشمس على بناء العرش ورفع سمكه وتسويته، وأما كونه خلاف ما عليه الجمهور وخلاف مطلوبه المسطور؛ فهو غير خافٍ، وليس للحد فيه خلاف ممن له الاتصاف بالإنصاف][٥].

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة:٢٩]، هو مبتدأ، خبره: عليم، و﴿شَيۡءٍ﴾ صلة ﴿عَلِيمٌ﴾، ولكونه صيغة مبالغة شارك اسم التفضيل في تعديته بالباء، والجملة تذييل، أو اعتراض جيء بها للتعليل؛ فإن منطوقها لما دل على كونه تعالى عالما بكل شيء علمًا بالغًا؛ لزم أن يكون إتقان ما سَوَّاه وأبدعه، وإحكام ما خلقه واخترعه على النسق الأنيق والنمط الأثيق والترتيب العجيب والتكميل الغريب؛ لعلمه البالغ غايته، وحكمته الواصلة نهايته.

---

(١) الحرف الذي يقتضي الترتيب، (ثمّ، والفاء).

(٢) [ب/أ/٩].

(٣) ينظر: مدارك التنزيل للنسفي (٧٧/١)، الكشاف (١٥٢/١).

(٤) ينظر: البداية والنهاية (١١/١).

(٥) في هامش نسخة (أ) بخط آخر، وهي ضمن نسخة (ب).

وفي هذه الجملة الملحوظ اتساقها مع سوابقها دقيقة، وفي الحقيقة بالبيان حقيقة، وذلك أنها مع ما فيها من الاستدلال بأن أمثال هذه الأفعال المشحونة بالنوال على هذا المنوال في غاية الحسن والجمال، ونهاية المتانة [١٩/أ/أ] والكمال لا يتصور إلا من عليم حكيم، على عباده رؤوف رحيم، إزالة لما يختلج في صدور المخاطبين من شبهة امتناع المعاد بعد تبدّد الأجزاء وتفتّت الأجساد، وليعلم أنها حجة على المعتزلة في قولهم بكون العبد موجدًا لأفعاله الاختيارية(١)؛ لأنه تعالى بيَّن بمقتضى الآية هذه: أن الخالق للشيء على سبيل التقدير والتحديد لا بد وأن يكون عالمًا بذلك الشيء بتفاصيله؛ لأنه قد خصَّه بقدر دون قدر، وزمان دون زمان، والتخصيص بهذه الحيثية لا يكون إلا بالإرادة، وإلا لزم ترجح من غير مرجح، والإرادة مشروطة بالعلم بالضرورة؛ فثبت أن خالق الشيء لا بد وأن يكون عالما به وبتفاصيله، فلو كان العبد خالقًا(٢) لأفعاله الاختيارية لابد وأن يكون عالما بها وبتفاصيلها(٣) وليس، فليس؛ لأنا نقطع بعدم حصول العلم لنا على سبيل التفصيل [١٩/أ/ب] بما نفعله.

وما قالت المعتزلة(٤) في إثبات عدم زيادة الصفات على الذات من أنه إذا جمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف:٧٦]، ظهر أنه عالم بذاته لا بعلم زائد على ذاته؛ فمدفوع بأن قوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ خاص، وهذه الآية عام، والخاص مقدم على العام(٥) عند عامة العلماء الأصوليين(٦)، على أن قوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ تأيد بقوله تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [سورة النساء:١٦٦].

وأنه أيضًا خاص، ولا يخفى أن هذه الآية التي نحن بصددها، مستفيضين من مددها، يظهر فساد ما عليه الفلاسفة من كونه غير عالم بالجزئيات على وجه جزئي؛ فإن العلم البليغ المتعلق بالجزئي لا يكون إلا على وجه جزئي.

قيل: إن الكل في كلام الله العلام ورد على أربعة أقسام، كما روي عن حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وهي: كل الوجودي [٢٠/أ/أ]، وكل النوعي، وكل الجزئي، وكل الكلي(٧).

أما الأول: فمثل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ [سورة الملك:١٩]، فإن المبصر لا يكون إلا موجودًا.

وأما الثاني: فمثل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة:٢٨٤]، فإن القدرة لا يتعلق إلا بنوع المحدثات دون غيرها.

---

(١) ينظر: العقيدة الطحاوية عند قوله: "وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد" (٥٥٧/١).

(٢) [ب/ب/٩].

(٣) مفاتيح الغيب (٩٥/٣٠).

(٤) الملل والنحل للشهرستاني (٤٢/١).

(٥) مفاتيح الغيب (٣٨٣/٢).

(٦) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (٢٦٤/٣).

(٧) لم أجد هذه القول عن ابن عباس ﷺ.

وأمـــا الثالث: فمثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا﴾ [سورة البقرة:٢٦٠].

وأما الرابع: فمثل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [ســـورة البقرة:٢٨٢]؛ لأنه عليم بكل موجود ومعدوم، فإذا كان الكل في هذه الآية كل الكلي لا يفيد كونه تعالى عالمًا بالجزئيات على وجه جزئي، بل على وجهٍ كلي.

أقول: ليس المراد بكونها كل الكلي إلا أن الحكم فيه كلي لا يتوقت بوقت دون وقت، ولا يختص بشـــيء دون شـــيء، ولا بحال دون حال، لا أن المحكوم عليه بها لا يكون إلا كليًّا؛ فثبت أنه تعالى عليم بكل شـــيء بتفاصـــيله على التمام.

وبلفظ التمام [٢٠/أ/ب] حصـل للرسـالة الإتمام، جعلها الله تعالى مسـك الختام، بخاتم الرسـالة عليه الصـلاة والسلام.

زبرها(١) مؤلفها وحررها مصـــنفها أقل الأنام، بل تراب الأقدام، من آل محمد محمد بن عبد الأول، وفقه الله للجمع بين العلم والعمل، وغفر بفضله لهما ولوالديهما، وأحسن إليْهِما والِيهِما، ولمن أحسن إلِيْهِما والِيهِما، بدار السلطنة السنية قسطنطينية، حفت بالشعائر الدينية، في أواسط شهر الله الأصب(٢)، رجب المرجب، لسنة ست وأربعين وتسعمائة، نفع الله بها كل فرقة وفئة(٣)،(٤) [٢١/أ/أ].

الخاتمة:

الحمد لله على التمام، فقد احتوى البحث على تحقيق رسـالة في تفسـير قوله تعالى: (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء) للمولى محمد بن عبد الأوّل التبريزي (ت بعد 940هـ).

ويمكن تلخيص أهم النتائج التي وصل إليها الباحث فيما يلي:

١- توفر نسختين، مما يساعد الباحث على تحقيق النص، وإخراجه بصورة علمية، إلا أن إحداهما كانت بخط غير جيد.

٢- ايجاز المؤرخين في ترجمته، فلم تحدد كتب التراجم تاريخ ولادته، ولا أسرته وأولاده.

---

(١) زبرت الكتاب كتبته وزبرته أحكمته. ينظر: تهذيب اللغة (١٣/١٣٥).

(٢) قال الجوهري: كان أهل الجاهلية يسمُّون رجبًا شهرَ الله الأصَمّ. قال الخليل: إنَّما سمِّي بذلك لأنّه كان لا يسمع فيه صوت مستغيث، ولا حركة قتال، ولا قعقعةُ سلاح، لأنَّه من الأشهُر الحُرُم. وقال المناوي: (رَجَب) وَيُقَال لَهُ الْأَصَم لأَنهم كَانُوا يكفون فِيهِ عَن الْقِتَال فَلَا يسمع فِيهِ صَوت سلَاح. ينظر: الصحاح تاج اللغة الجوهري (٥/ ١٩٦٧)، مادة (صمم)، التيسير شرح الجامع الصغير (٢/٢٩).

(٣) [ب/أ/١٠].

(٤) في [ب] أضاف الكاتب: قال نامقها بيده لنفسه الفقير محمد أحمد المصري اقليما، القيلوبي خطا، المرصفي بلدة، والشافعي مذهبًا، الخلوتي طريقة، نمد إليك يا الله يد الضراعة من كل شهر ويوم وساعة أن تغفر لي ومشايخي ولوالدي وترحمهما كما ربياني صغيرا حقيرا للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وتابع الخيرات الأحياء والأموات، وكان نمقها ظهير يوم الأثنين رابع عشرين شوال سنة ١٢٣٢هـ.

٣- ذكر المؤلف في تفسير هذه الآية الصغيرة الحجم، عددًا من العلوم، فأجاد في كثير من المواضع سبك الكلام بين تلك العلوم والفنون من مقوله أو منقوله.

٤- صاغ المؤلف التفسير بأسلوب بلاغي، يظهر فيه عمقه اللغوي.

٥- اعتمد المؤلف على من سبقه من المفسرين كالبيضاوي والنسفي في تفسيرهما، والتصريح بالنقل عنهما.

هذا والله أعلم، والحمد لله رب العالمين، وصلي اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المراجع:

الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي (٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليها: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (٦٣١هـ)، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان.

الأزمنة والأمكنة، أبو على أحمد بن محمد الأصفهاني (٤٢١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ)، موقع جامع الحديث، http://www.alsunnah.com

إعراب القرآن لابن سيده (٤٥٨هـ).

إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، (٣٣٨هـ)، تحقيق د.زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

الأعلام، خير الدين بن محمود بن فارس، الزركلي الدمشقي (١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

إفادة الأنام، بذكر أخبار بلد الله الحرام، مع تعليقه المسمى: بإتمام الكلام، العلامة، المحدّث، المسنِد، المؤرخ، الشيخ عبدالله بن محمد الغازي المكي الحنفي ١٢٩٠ - ١٣٦٥هـ، دراسة وتحقيق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش.

إنارة الدجى في مغازي خير الورى صلى الله عليه وآله وسلم، حسن بن محمد المشاط المالكي (١٣٩٩هـ)، دار المنهاج، جدة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦هـ.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، دار الفكر، بيروت، تحقيق: د. محمود مطرجي.

البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان.

تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، محمد طاهر الكردي المكي، طبع على نفقه معالي الدكتور عبد الملك بن دهيش، يطلب من مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة، ودار خضر للطباعة بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

تاريخ الكعبة المعظمة، عمارتها، وكسوتها، وسدانتها، حسين عبد الله باسلامه، تعليق: يوسف علي رابع الثقفي، دارة الملك عبد العزي، الرياض، ١٤١٩هـ.

التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

تفسير ابن كمال باشا، أحمد بن سليمان بن كمال باشا، تحقيق وتعليق: ماهر أديب حبوش، مكتبة الإرشاد، إسطنبول، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ.

التَّفْسِيرُ البَسِيْط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (٤٦٨هـ)، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.

تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (٥٠٢هـ)

تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن، الرازي ابن أبي حاتم (٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ.

تفسير القرآن، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١هـ)، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

تفسير القرطبي، محمد بن أحمد القرطبي أبو عبد الله، أعاد طبعه دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (١٠٣١هـ)، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

التيسير في التفسير، أبو حفص نجم الدين عمر بن محمد النسفي، تحقيق وتعليق: ماهر أديب حبوش، دار اللباب، الطبعة: الأولى، ١٤٤٠هـ.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

الجامع المسند الصحيح = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

در الحبب في أعيان حلب، ابن الحنبلي، محمد بن إبراهيم الحلبي، مكتبة الدكتور مروان العطية، تحقيق: محمود حمد الفاخوري، يحيى زكريا عبارة. منشورات وزارة الثقافة دمشق.

الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر، مصر، ١٤٢٤هـ. ٢٠٠٣م.

دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ق ١٢هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ)، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

سجل عثماني، محمد ثريا، مطبعة عامرة، ١٨٩٠م.

سلم الوصول إلى طبقات الفحول، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (١٠٦٧هـ)، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور، مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا، ٢٠١٠ م.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

شرح العقيدة الطحاوية، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (١٤٢١هـ)، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: السادسة،١٤٢١هـ.

الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، أحمد بن مصطفى بن خليل، أبو الخير، عصام الدين طاشْكُبْري زَادَهْ (٩٦٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين الشبكي (٧٧١هـ) تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد الداوودي(٩٤٥هـ)، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، دار السلفية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ.

عمدة الناظر على الأشباه والنظائر، محمد أبي السعود الحسيني، تحقيق: عبد الكريم جاموس.

الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، مخطوطات التفسير، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، عمان، ١٩٨٧م.

فهرس مخطوطات الخزانة العامة بتطوان- المغرب.

فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.

القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

القانون في الطب . لابن سينا

التيسير في التفسير أبو حفص النسفي - سورة البقرة - المكتبة الشاملة. (يحذف من هنا ويضاف قبل جامع البيان)

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزي (١٠٦١هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الثالثة.

مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين (٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.

مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (٧٢٨هـ)، تحقيق: أنور الباز – عامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥ م.

المحصول، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (٦٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (٧٧٤هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت.

معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)»، علي الرضا قره بلوط – أحمد طوران قره بلوط، دار العقبة، قيصري، تركيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي بيروت.

المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، دار الدعوة.

المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م.

الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.

مُوْسُوعَة القَواعِدُ الفِقْهِيَّة، محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي، مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.